سلسلة رسائل وكتب علماء نجد الأعلام «٨»

الرد على شبهات المستعينين بغير الله

تأليف
الشيخ العلامة

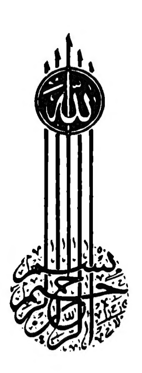
أحمد بن إبراهيم بن عيسى الحنبلي النجدي
١٢٥٣هـ - ١٣٢٩هـ
رحمه الله تعالى

اعتنى بنشرها وتصحيحها
عبد السلام بن برجس بن ناصر آل عبد الكريم

طبع على نفقة
الشيخ علي الفهد العلي الهزاع
بارك الله له وعليه وغفر له ولوالديه ولجميع المسلمين

وقف لله تعالى


الرد
على
شبهات المستعينين بغير الله



سلسلة رسائل وكتب علماء نجد الأعلام «٨»



تأليف
الشيخ العلامة

أحمد بن إبراهيم بن عيسى الحنبلي النجدي
١٢٥٣هـ - ١٣٢٩هـ
رحمه الله تعالى

اعتنى بنشرها وتصحيحها
عبد السلام بن برجس بن ناصر آل عبد الكريم

طبع على نفقة
الشيخ علي الفهد العلي الهزاع
بارك الله له وعليه وغفر له ولوالديه ولجميع المسلمين

وقف لله تعالى

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة التحقيق

الحمد لله ربِّ العالمين، والعاقبة للمتقين، ولا عدوان إلا على الظالمين. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له الحقُّ المبين .

وأشهد أن نبينا وقدوتنا وسيِّدنا محمدٌ المبعوثُ بالهدى والنور، والسَّعادة والسرور، صلى الله عليه صلاةً دائمة ما تعاقب الليل والنهار .

وعلى آله البررة الكرام الأطهار، وأصحابه المصطَفَيْنَ الأخيار، وسلّم تسليماً كثيراً .

أما بعـــد :

فإن خروجَ المناوئين لدعوةِ الرُّسلِ وأتباعِهم، وإثَارتَهُم الشُّبَهَ تارةً، والأحقاد أخرى، أمرٌ قدَّرَه الله عز وجل وشاءَه وقضاه، وصَبَغَه بحكمته البالغةِ في الكمالِ منتهاه، وسَيَّرَه سنَّةً في الأمم لاتخرج عنه ولا تتعدّاه .

وقد سبق في علم الله: أنّ العاقبةَ للمتقين، والدَّائِرَةَ على الضالين المكذِّبين .

ولكن الله سبحانه أراد أن يمحِّص المؤمنين ويَبْلُوَهُم، ويختبرَ محبَّتَهُم له وصَبْرَهم، بتسليطِ هؤلاءِ المناوئين عليهم، وسومِهِم بأنواع العذاب على أيديهم .

حتى إذا كان الناس على صنفين : مؤمنين أخيار. وكافرين فجّار. أنجزَ الله لعباده المؤمنين وعدَه، وأنزل لنصْرِهم ملائكتَه وجنْدَه .

قال تعالى : ﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا ٱلْمُرْسَلِينَ ۞ إِنَّهُمْ لَهُمُ ٱلْمَنصُورُونَ ۞ وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلْغَالِبُونَ ۞﴾ [الصافات ١٧١ ــ ١٧٢ ــ ١٧٣] وقال تعالى : ﴿فَأَيَّدْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَىٰ عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُواْ ظَاهِرِينَ﴾[الصف ١٤]

وقال تعالى : ﴿كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِيٓ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ [المجادلة ــ ٢١] وقال تعالى : ﴿قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ ٱسْتَعِينُواْ بِٱللَّهِ وَٱصْبِرُوٓاْ إِنَّ ٱلْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [الأعراف ــ ١٢٨].

والآيات القرآنيةُ الدَّالةُ على أن العِزَّةَ والْمَنعَةَ والدَّوْلةَ والنَّصر ــ كلُّ ذلك ــ آيلٌ إلى من حقق التوحيد، وصبر على الأذى، كثيرةٌ جداً، وفي الآيات الكونية ما يشهد لذلك ويصدِّقُه، ويُجسِّدُ هذا الوعد ويحققه .

ولو استطردنا في ذكر الآيات الكونية التي منها : أخبارُ الرُّسلِ مع أممهم، والمصلحين مع أقوامهم، لطال بنا المقام، واتسعت دائرة الكلام .

ولكن نشير إلى ذلك بدعوةٍ سلفيَّةٍ واجهت أعداء ألدَّاء، أقوياءَ أشدّاء، صمدت أمامهم صمود الجبل الشامخ، وَرَمَتْ نحورهم برماح العلماءِ والمشايخ، مع قلّةِ عددهم، وضعفِ ذاتِ يدهِم .

هذه الدعوة هي: دعوة الإصلاح والتجديد في نجد، التي قام بها الشيخ محمد بن عبدالوهاب ــ رحمه الله تعالى ــ

لقد كابدت هذه الدعوة في بدءِ قيامها أنواعَ الإضطهاد، وصنوفَ الظلمِ، وألوانَ العذابِ، حتى إن الدولة العثمانيةَ ألْقت كامِلَ قواها في سبيل القضاء على هذه النواة الصغيرة... فجنّدت الجيوش الحربية لقتالهم، واستنفرت القدرات العلمية لهتكهم، وحذرت الناس من الإستماع لدعوتهم وقولِهِمْ، وألصقت الإفتراءاتِ والكذبات بهم .

ولكن بحمد الله تعالى: كلُّ هذه الجنود تضعضعت وانكسرت، وفشلت أمام جنود الحقِّ وتقهقرت .

أما الجنود الحربية فقد هيّأ لها أوائل آل سعود ــ رحمهم الله تعالى ــ شبّاناً يرون القتل مجداً، وشِيْباً في الحروبِ مجرّبينا .

وأما الجنود العلميّة فقد هيأ لها الشيخ محمد بن عبدالوهاب ــ رحمه الله تعالى ــ طلّاباً للعلم عن السنّة يذودون، وبالكتاب يصولون ويجولون. فنفوا عن الكتاب تحريف المحرفين، وانتحال المبطلين، وشبهات المشبهين .

كل ذلك بفضل الله أولاً وآخراً. فله الحمد والشكر وحده لا شريك له .

ولم يزل لكلّ قوم من الفريقين وارثٌ، لعلومهم وأفكارهم ناشرٌ باعثٌ .

وكان من بين الوارثين للقوم المخذولين، رجلٌ بلغ من الوقاحة منتهاها، ومن الجهالة أخبثها وأرداها، ذلك الرجل هو : داود بن سليمان بن جرجيس، المنفّق سلعته بالكذب والزورِ والتلبيس، المحامي عن المشركين والوثنيين إخوان إبليس .

ألَّف كتباً قرر فيها الشرك والسفاهاتِ، وَجَلَبَ إليها أردأ الحجج والبيِّناتِ، وملأها بالأكاذيب والترّهات.

وقد ورثَ القومَ الصالحين المنصورين، عالمٌ جليلٌ، فاضلٌ نبيلٌ، اشتهر بالدِّيانةِ والصّلاحِ، والسعي إلى ما يقرِّب من الفلاح. ذلك العالم هو: الشيخ أحمد ابن إبراهيم بن عيسى ــ رحمه الله تعالى وتولّاه ــ

تصدى لسفسطات الجاني المذكور فنقضها واحدةً تلو الأخرى، وأوضح ما وقع فيها من الشرك ونَصر الهوى، ومجانبة الأمانة والتقوى، كلُّ ذلك في رسالة صغيرة الحجم، كبيرة الفائدة والعلم، امتازت بحسن عبارتها، ونصوع حجّتها، ووضوح أدلتها، وقوّة مخاصمتها. وقد سمّى هذه الرسالة : «الردّ على شبهات المستعينين بغير الله» وهي التي بين يديك .

فمع هذه الرسالة نتركك لتأخذ العلم من مخبئه ومستودعه، وتتلذّذَ بمشاهدة جمالها ونضرته. والله المسؤول المرجو أن يرينا الحق حقاً ويرزقنا اتباعه ويرينا الباطل باطلاً ويرزقنا اجتنابه، ولا يجعله ملتبساً علينا فنضل .

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

كتبه الفقير إلى عفو ربه القدير

عبدالسلام بن برجس بن ناصر آل عبدالكريم

غفر الله له ولوالديه ولمشايخه وللمسلمين

١٤٠٩/٢/٩ هـ

النسخ المعتمدة

طبع هذا الكتاب لأول مرّة في مصر على نفقة الشيخ محمد نصيف. وهو الذي أشرف على طباعتها. ولم يذكر تاريخ الطباعة .

وقد اعتمد في هذه الطبعة على نسخة خطية منقولة من خطِّ المؤلف كتبها: عبدالعزيز بن عبدالله بن محمد بن عامر، سنة ١٢٩٧ هـ .

ثم أعيد طبع الكتاب على نفقة محمد بن جميح ضمن مجلدٍ كبيرٍ جمع عدّة كتب ورسائل لشيخ الإسلام ابن تيمية، ولبعض علماء نجد.

واعتُمِدَ في هذه الطبعة على نسختين: أحدهما خطية أخذت من مكتبة الشيخ إبراهيم بن عبداللطيف قاضي شقراء، وثانيهما: نسخة الشيخ محمد نصيف، المتقدم ذكرها .

وقد اعتمدتُ النسخة الثانية، لصحتها غالباً، وكمالها، فإن في طبعة الشيخ محمد نصيف ــ رحمه الله ــ نقصاً، كما في ص ٣١ من الطبعة التي بين يديك. وقد أثبت أغلب الفروق بين النسختين في الحاشية.

اسم الكتاب:

طبع باسم «الردّ على شبهات المستعينين بغير الله» في الطبعة الأولى. أما الطبعة الثانية فقد كتب على وجهها: «الرد على شبهات المستغيثين بغير الله».

ولعل ما وقع في الطبعة الثانية خطأ، وذلك لأن المشرف على الطبع ذكر في بيان الأصول المعتمدة في الطبع اسمَ الكتاب موافقاً للطبعة الأولى. لذا أثبت هذا الاسم على وجه هذه النسخة.

ترجمة المؤلف

* هو الشيخ العالم العلامة المحقق الدّاعية : أحمد بن الشيخ العالم العلامة المحقق : إبراهيم بن حمد بن محمد بن حمد بن عبدالله بن عيسى.

ينتهي نسبه إلى قبيلة بني زيد المنحدرة من قضاعة بن مالك بن عمرو بن مرّة ابن زيد بن مالك بن حمير بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان .

* ولد هذا العالم الجليل في موطن آبائه «شقراء» يوم الخميس، العاشر من ربيع الأول، عام ١٢٥٣ هـ .

* نشأ في حجر والده العلامة إبراهيم بن عيسى. فرباه تربية حسنة، وغرس في قلبه حبَّ العلم وأهله .

فحفظ القرآن وتعلم مبادىء الكتابة والقراءة. ثم شرع في طلب العلم بهمة عالية، ورغبة صادقة .

* قرأ على والده: التوحيد والفقه والحديث والأصول .

كما لازم علامة نجد ومفتيها الأكبر : عبدالله بن عبدالرحمن أبابطين .

* قام برحلات علمية، منها إلى مكة، والرياض، والعراق. فقرأ في مكة على :

العالم الجليل محمد بن سليمان حسب الله الشافعي المكي .

والشيخ العلامة المحقق حسين بن محسن الأنصاري الخزرجي .

وقرأ في الرياض على :

الشيخ عبدالرحمن بن حسن وابنه الشيخ عبداللطيف .

وفي العراق على نعمان الألوسي. وصالح بن حمد المبيض .

* ولّاه عبدالعزيز بن رشيد قضاء المجمعة وبلدان سدير عام ١٣١٧ هـ .

وكان الشيخ قبل ذلك في مكة تاجراً في الأقمشة يتحرى الصدق والأمانة والوفاء بالعهد، وينتهز الفرص لدعوة وإرشاد من يتعاطى معه التجارة .

قال الشيخ الفاضل محمد نصيف:

وكان ــ أي المترجم له ــ يتردد بين جدّة ومكة لشراء الأقمشة من الشيخ عبدالقادر بن مصطفى التلمساني. كان يدفع له أربعمائة جنيه ويشتري بألف، ويسدد الباقي على أقساط بضمانة مبارك المساعد.

وقد دام التعامل بينه وبين الشيخ التلمساني زمناً طويلاً. وكان لصدقه وأمانته ووفائه بوعده أثر طيب في نفس التلمساني. حتى إنه لم ير ضرورة للضامن.. وقال له:

«إني عاملت الناس من أربعين عاماً فما وجدت أحسن من التعامل معك ياوهابي، فيظهر أن ما يشاع عنكم يا أهل نجد مبالغ فيه من خصومكم السياسيين....»

فسأله الشيخ أحمد أن يبينها له.

فقال التلمساني: يقولون إنكم لا تصلون على النبي ﷺ ولاتحبونه.

فأجابه الشيخ أحمد: سبحانك هذا بهتان عظيم. كيف ومن لم يصل عليه في التشهد في الصلاة فصلاته باطلة، ومن لا يحبه فكافر.

وإنما نحن أهل نجد ننكر الإستعانة والإستغاثة بالأموات، ولا نستغيث إلا بالله وحده، ولا نستعين إلا به سبحانه، كما كان على ذلك سلف الأمة.

وقد استمر النقاش بينه وبين التلمساني ثلاثة أيام. وأخيراً هدى الله الشيخ التلمساني للحق، وصار موحداً ظاهراً وباطناً.

ثم سأله الشيخ التلمساني أن يوضح بعض أوجه الخلاف بينهم وبين خصومهم ــ يعني في توحيد الأسماء والصفات ــ فقال الشيخ أحمد:

إننا نعتقد أن الله فوق سماواته، مستو على عرشه استواء يليق بجلاله، من غير تشبيه ولاتجسيم ولا تأويل، وهكذا في جميع آيات الصفات والأحاديث، كما هي عقيدة السلف الصالح، وكما جاء عن الإمام أبي الحسن الأشعري في

كتابيه: الإبانة في أصول الديانة، ومقالات الإسلاميين واختلاف المصلين.

وقد دامت المناظرة بينهما خمسة عشر يوماً. لأن الشيخ التلمساني كان أشعرياً، درس في الجامع الأزهر كتب العقائد: السنوسية، وأم البراهين، وشرح الجوهرة، وغيرها.

وقد انتهت هذه المناقشة الطويلة باقتناع الشيخ التلمساني بأن عقيدة السلف هي الأسلم والأحكم والأعلم.

ثم صار الشيخ التلمساني داعياً من دعاة العقيدة السلفية، وطبع كتباً كثيرة ووزعها بالمجان..

ثم قال الشيخ المحسن المفضال محمد نصيف:

وإذا كان الله سبحانه وتعالى قد هدى الشيخ التلمساني على يد الشيخ أحمد بن عيسى، فقد هداني ــ أنا أيضاً ــ على يده. اهـ.

ولقد كان للشيخ أحمد مكانة مرموقة عند جميع طبقات الناس لما اشتمل عليه من أخلاق فاضلة، ومعاملة صادقة، وورعٍ نقي، وقلبٍ تقي، ولسانٍ من الفحش بري، ومن الخير دَني .

حتى إنه أشار على الشريف عون بن محمد بأن يهدم القباب المبنية على القبور، فأزالها، تلبية لنصيحته، إلا ما كان من قبر خديجة وابن عباس فإنه تركه مخافة من تشويش السلطان عبدالحميد العثماني.

وبجانب نشاط الشيخ في الدعوة إلى الله باللسان كان يدعو بقلمه، فيقرر به التوحيد ويؤيد أهله، وينفي الشرك ويحارب جنده. فخلّف مؤلفات نفيسة منها :

١ ــ شرح النونية لابن القيم، في مجلدين كبيرين، قال شيخنا العلامة عبدالله ابن جبرين ــ حفظه الله ــ: وهو من أنفس الشروح وأجَلّ الكتب في هذا الفن .

٢ ــ تنبيه النبيه والغبي في الردّ على المدراسي والحلبي، مجلد كبير، طبع ضمن مجموعة كتب طبعها «الكردي» عام ١٣٢٩ هـ .

٣ ـ الرد على دحلان في كتابه «خلاصة الكلام».

٤ ـ تهديم المباني في الردّ على النبهاني .

٥ ـ الردّ على شبهات المستعينين بغير الله. وهو ردٌّ على داود بن جرجيس العراقي.

وهو المقصود بقول ابن عمِّ المؤلف الشيخ إبراهيم بن صالح بن عيسى:

أزاح قتام الشرك منه بنبذة
لها الوحي ردء والحديث مؤيِّد

٦ ـ مجموعة قصائد قيلت في مناسبات مختلفة .

وافته المنية المحتمة بعد صلاة الجمعة في اليوم الرابع من جمادى الثانية من عام ١٣٢٩ في بلدة المجمعة بسدير .

وصلي عليه صلاة الغائب في المملكة.

وقد مدحه كثير من العلماء الأجلاء نظماً ونثراً، فمن ذلك ما قاله الشيخ إبراهيم بن صالح بن عيسى:

إمامٌ حوى علماً وحلماً وعفّة | وزهداً ونسكاً فضله ليس يجحدُ
غزير المعاني لوذعي مهذّب | أديب أريب ألمعيٌّ مسدد
أزاح قِتام الشرك منه بنبذة | لها الوحي ردء والحديث مؤيد
بقيت ابن إبراهيم للدين ناصراً | تناضل عن دين الرسول وتنهد

وقال أيضاً فيه:

هو الفتى نجل إبراهيم من فخرت
به العلوم على التفصيل والجُمَلِ
هو الإمام الفقيه الحبر قدوتنا
أكرم به من إمام سيِّدٍ بطل
مؤيد راسخ في العلم متبع
أثر المطهَّر طَه خاتم الرسل

فرحم الله الشيخ أحمد رحمة واسعة، فلقد كان عالماً حقاً، مجاهداً صدقاً،

قاضياً عدلًا، منفقاً سَحّا، وترجمته الحافلة حقيقة بأن تفرد في مجلدٍ، وهو ما نأمله من أصحاب الرسائل العلمية، التي تقدم في شخصياتٍ بارزة.

(*) من مصادر الترجمة:

١ ـــ علماء نجد خلال ستة قرون للشيخ عبدالله بن بسّام.

٢ ـــ روضة الناظرين عن مآثر علماء نجد وحوادث السنين للشيخ محمد القاضي.

٣ ـــ مقدمة الشيخ محمد نصيف للطبعة الأولى من كتاب ابن عيسى «الردّ على شبهات المستعينين بغير الله».

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي أظهرَ الحقَّ وأنارَه، ومَحَق الباطلَ وأبادَه، أحمده على ظهور حجج التوحيدِ ووضوحها، وأشكره على تبديد شبه الشركِ وفضوحها .

وصلى الله على سيدنا محمد المحامي عن توحيد مولاه، القائلِ «**إنه لا يستغاث بي وإنما يستغاث بالله**»[1] الزاجرِ لمن إلى ذرائعِ

---

(١) أخرجه الطبراني ــ كما في مجمع الزوائد ــ ١٥٩/١٠ عن عبادة بن الصامت، ورجاله رجال الصحيح غير ابن لهيعة وهو حسن الحديث. أهـ. وابن لهيعة قد اختلف العلماء في الإحتجاج بحديثه فمنهم من صححه ومنهم من ضعفه، ولعل الراجح من أقوالهم الإحتجاج بحديثه في الشواهد والمتابعات.

وقد اعترض البكري على شيخ الإسلام ابن تيمية إيراده هذا الحديث، زاعماً عدم صحته. فأجابه شيخ الإسلام بما حاصله:

هذا الخبر لم يذكر للإعتماد عليه، بل ذكر في ضمن غيره ليتبين أن معناه موافق للمعاني المعلومة بالكتاب والسنة، كما أنه إذا ذكر حكم بدليل معلوم ذُكِرَ ما يوافقه من الآثار والمراسيل وأقوال العلماء وغير ذلك، لما في ذلك من الإعتضاد والمعاونة، لا أن الواحد من ذلك يعتمد عليه في حكم شرعي .

ولهذا كان العلماء متفقين على جواز الإعتضاد والترجيح بما لا يصلح أن يكون هو العمدة من الأخبار التي تُكلم في بعض رواتها لسوء حفظ أو نحو ذلك. وبآثار الصحابة والتابعين، بل بأقوال المشايخ والإسرائيليات والمنامات مما يصلح للاعتضاد. =

الشرك تعدى، القائل لمن قال له «ما شاء الله وشئت»: أجعلتني لله نداً؟ (١).

وعلى آله وصحبه المهتدين، وتابعيهم بإحسان إلى يوم الدين، وسلم تسليماً.

اللهم لك الحمد، وإليك المشتكى، وبك المستغاثُ، وأنت المستعانُ، وعليك التكلانُ، ولا حول ولا قوة إلا بك .

فما يصلح للإعتضاد نوع، وما يصلح للإعتماد نوع.

وهذا الخبر من النوع الأول. فإنه رواه الطبراني في معجمه من حديث ابن لهيعة. وقد قال أحمد: قد كتبت حديث الرجل لأعتبر وأستشهد به مثل حديث ابن لهيعة. فإن عبدالله بن لهيعة قاضي مصر كان من أهل العلم والدين باتفاق العلماء، ولم يكن ممن يكذب باتفاقهم، ولكن قيل إن كتبه احترقت فوقع في بعض حديثه غلط، ولهذا فرّقوا بين من حدث عنه قديماً وبين من حدّث عنه حديثاً... إلى أن قال رحمه الله: وقد روى الناس هذا الحديث من أكثر من خمسمائة سنة إن كان ضعيفاً، وإلا فهو مروي من زمان النبي ﷺ، ومازال العلماء يقرؤون ذلك ويسمعونه في المجالس الكبار والصغار، ولم يقل أحد من المسلمين: إن إطلاق القول إنه لا يستغاث بالنبي ﷺ كفر ولا حرام...إلخ اهـ من الردّ على البكري ص ١٥٣ ــ ١٥٤.

(٢) أخرجه الإمام أحمد ١/٢١٤ــ ٢٢٤ــ٢٨٣ــ٣٤٧. وابن ماجه ١/٦٨٤ من طريق الأجلح الكندي عن يزيد بن الأصم عن ابن عباس به.

قال في الزوائد: وفي إسناده الأجلح بن عبدالله مختلف فيه، ضعفه الإمام أحمد، وأبو حاتم، والنسائي، وأبو داود، وابن سعد.

ووثقه ابن معين، ويعقوب بن سفيان، والعجلي. وباقي رجال الإسناد ثقات اهـ.

وقد لخص ابن حجر أقوال أهل الجرح والتعديل فيه، فقال: «صدوق» كما في التقريب.

أما بعــد :

فقد وقفت على كُرّاسة لبعضِ العصريين من أهل العراقِ سماها «أنموذجُ الحقائقِ» وضمنها كثيراً من الهذيانِ والشقاشقِ، مضمونها الإنتصارُ للشرك بالله المسمى «بالتوسل» وتجويزُ دعوةِ الأموات والغائبين من دون الله تعالى، واستحبابه، والتشنيع على من يمنع من ذلك وسبابه .

فأحببت أن أبين بطلان ما تضمنته كراسته من الشبهات الواهية، والترّهاتِ المتناهية، وأن أزيحَ شبهاتِه ببراهين التوحيد الساطعة، وأوضحَ ضلالاتهِ بحجج الكتاب والسنة القاطعة، وكلامِ علماء الإسلام، ومصابيح الإهتداء في الظلام، لقد خاب ظن المشركين إذ راموا نقضَ أدلةِ التوحيدِ التي هي أرسى من الجبال، وأظهر من الشمس في نحر الظهيرة والبدر في ظلم الليال.

والرسالة المذكورة شبه لا شيء، لكن ربما يُخَيَّل بها لبعض قاصري الأفهام، أو لعله يحصل عليهم بها إيهام، ونحن نكتب على بعضها ما تنتقض به شبهاته، وتبطل به خيالاته وتُرَّهاته، وبالله توفيقي، وعليه اعتمادي، وإليه تفويضي واستنادي، عليه توكلت وإليه أنيب، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

واعلم أن هذا الرجلَ يكثرُ من نقل كلامِ شيخِ الإسلام ابنِ تيمية، وتلميذِه ابن قيم الجوزية، ويظهر تعظيمهما، وبينه وبينهما بونٌ كبيرٌ، وفرق كثيرٌ، فهما رحمة الله عليهما قد شحنا تصانيفَهما وملآ تآليفَهما بذكر التوحيدِ وأدلته، وإيضاح براهينه، والجوابِ عن شبه

المشركين من أمثاله، وبيانِ ضلالهم، وتبديدِ شملهم، وقطعِ أوصالهم، وكم لهما في الرد على مثله من كتاب وجواب .

وهذا المخذول إن نقلَ من كلامهما شيئاً حذف بعضَه، أو أفسَده بالتصرف، واستكرهه بالتأويل الباطل[1] والتعسف، ليوافق مذهبَه وانتحالَه، وليطابق إفكَه وضلاله، ويحسن أن ينشد فيه :

أيها المدعي وصلاً لليلى[2] لست منها ولاقلامةَ ظفرِ
إنما أنتَ من ليلى[3]كواوٍ أُلحقتْ في الهجاء ظلماً بعَمْرٍ

واعلم أنه قد تصدى للرد على رسائله، التي مضمونها الدعوة إلى الشرك بالله ووسائله، وانتصبَ لقمع أباطيله، وإيضاح تلبيسه وأضاليله، جمعٌ من العلماء، وجُل من الأئمة الفهماء .

منهم شيخنا العلامة فقيهُ زمانهِ، وقدوةُ عصرهِ وأوانه: عبدالله ابن عبدالرحمن أبابطين .

وشيخنا العلامة الأوحد، واللوذعي الهمام المفرد، ناصر الموحدين، وقامع الملحدين: عبدالرحمن بن حسن .

ومنهم شيخنا العلامة، والأوحد الفهامة: عبداللطيف بن عبدالرحمن .

ومنهم العلامة المحدث، فخر الديار اليمنية: الشريف محمد بن ناصر الحازمي .

---

(١) سقطت: «الباطل» من طبعة نصيف.

(٢) في نسخة محمد نصيف: «سليمى سفاها».

(٣) في نسخة محمد نصيف: «سليمى».

والشيخ العلامة المحقق: نعمان بن السيد محمود أفندي البغدادي .

ولنقدم بين يدي المقصود مقدمةً نافعة، وقاعدةً جامعة. فأقول وبالله التوفيق:

اعلم أرشدك الله تعالى أنه قد قام البرهان والإجماع: على أنه لا يجوز لأحد أن يعدل عما في الكتاب والسنة واتفق عليه سلف الأمة وأئمتها إلى ما أحدثه بعض الناس مما يتضمن خلاف ذلك، ويوقع الناس في تلك المهالك .

وليس لأحد أن يضع للناس عقيدةً ولا عبادةً من عنده، بل عليه أنَ يَتَّبِعَ ولايبتدع، ويَقْتَدِي ولا يَبْتَدِي، فإن الله سبحانه بعث رسولَه محمداً ﷺ بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله، وقال له: ﴿**قُلْ هَٰذِهِ سَبِيلِيٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِي**﴾[يوسف – ١٠٨] وقال تعالى : ﴿**ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِيناً**﴾[المائدة – ٣].

والنبي ﷺ عَلَّم المسلمين جميعَ ما يحتاجون إليه في دينهم، فأخذ المسلمون جميعَ ما يحتاجون إليه في دينهم من العبادات والإعتقادات وغير ذلك من كتاب الله، وسنة رسوله، وما اتفق عليه سلف الأمة وأئمتها.

وليس في الكتاب والسنة والإجماع إلا الحق فإن الله تعالى قال: ﴿**وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَابَ تِبْيَاناً لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ**

لِلْمُسْلِمِينَ﴾[النحل – ٨٩] وقال تعالى: **﴿مَّافَرَّطْنَا فِي ٱلْكِتَابِ مِن شَىْءٍ﴾**[الأنعام – ٣٨].

فالهدى والنجاة في رد ما اختلف فيه الناس في أبواب العلم إلى صريح الكتاب، وصحيح السنة وحسنها، وسبيل سلف الأمة وأئمتها، ومن تبعهم بإحسان، واقتفى أثرهم بالإسلام والإيمان، فمن اعتمد على هذا الأصل دفع به كلَّ شبهة يوردها مبطل فيما يخالف أصل الدين ــ أي الإخلاص والمتابعة ــ **فإن الأدلة المجمع عليها ثلاثة:ــ**

الكتاب، والسنة، وإجماع سلف الأمة، وفي القياس خلاف بين العلماء هل يكون صحيحه دليلًا أم لا؟ وكل قياس يخالف كتاباً أو سنة نصاً أو ظاهراً أو إجماعَ سلفِ الأمة وأئمتها فهو فاسد الإعتبار، لا يُعَوّل عليه عند جميع العلماء من أهل السنة والجماعة .

فإذا قال أحد قولًا يخالف ما دل عليه الكتاب والسنة والإجماع رُدَّ قولُه وبطل.

أما إذا صح قياسه على مدلول كتاب أو سنة، ولم يكن هناك فارق، فأكثر العلماء يقول مثل[1] هذا ويحتج به .

واعلم أن التوحيد الذي بعث الله به رُسُلَه، وأنزل به كتبه، وخلق الخلق لأجله ثلاثة أقسام:

---

(١) في نسخة نصيف: «بمثل».

القسم الأول :

توحيد الربوبية والملك وهو اعتقاد أن الله تعالى ربُّ كلِّ شيءٍ ومليكه، وخالقُ كلِّ شيءٍ ورازقه، والمتصرفُ فيه وحده بمشيئته وعلمه وحكمته .

وهذا القسم قد أَقرَّ به مشركوا العرب كما قال تعالى: ﴿**قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَارَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَيَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَيِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ**﴾ [يونس – ٣١]. وقوله : ﴿**قُل لِّمَنِ ٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهَآ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ**﴾ [المؤمنون – ٨٤] الآيات، وما في معناها.

وهذا التوحيد لا يكفي وحده، ولايدخل في الإسلام وحده، بل لابد أن يأتي العبدُ معه بلازمه وهو

القسم الثاني :

توحيد الطلب والقصد. وهو توحيد **الإلهية** المبني على إخلاص التأله لله تعالى، وإفراده بجميع العبادة.

وهذا التوحيد هو الذي افتتح به الرسلُ دعوتَهم، كما قال أول[1] الرسل نوح عليه السلام لقومه : ﴿**ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ**﴾ [الأعراف – ٥٩] ﴿**أَن لَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ**﴾ [هود – ٢٦].

---

(١) سقطت: «أول» من نسخة نصيف.

وكذلك قال هود وصالح وشعيب وغيرهم .

وقد أخبر تعالى أن المشركين يخلصون الدعاء لله في الشدائد كما قال تعالى : ﴿**قُلْ مَن يُنَجِّيكُم مِّن ظُلُمَاتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ تَدْعُونَهُ تَضَرُّعاً وَخُفْيَةً لَّئِنْ أَنجَانَا مِنْ هَـٰذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّـٰكِرِينَ * قُلِ ٱللَّهُ يُنَجِّيكُم مِّنْهَا وَمِن كُلِّ كَرْبٍ**﴾ [الأنعام ٦٣ – ٦٤].

بين تعالى أنه لاينفعهم إخلاصُهم في حالٍ دون حالٍ، ولا ما أقروا به لله تعالى من القدرة على الإختراع كما تقدم في الآيتين، فوجب قتالهم لأنهم لم يخلصوا لله العبادة، ولم يَكْفُروا بعبادة كلِّ ما عُبِدَ من دُونه. وهذا هو مدلول كلمة الإخلاص «لا إله إلا الله».

ومعناها : نفي الإلهية عن كل ما سوى الله تعالى، وإفرادُه بالإلهية، كما قال تعالى: ﴿**قُلْ إِنَّمَآ أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَـٰهُكُمْ إِلَـٰهٌ وَاحِدٌ فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَـٰلِحاً وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدَا**﴾ [الكهف – ١١٠]. وقال عن خليله عليه السلام: ﴿**وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ * إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ * وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ**﴾ [الزخرف – ٢٦] فتأمَّل كيف عَبَّر عنها بمدلوها من النفي والإثبات .

وأخبر الله تعالى عن المشركين أنهم أَبَوْا أن يُقِرُّوا بمعناها الذي دَلّت عليه، كما قال تعالى : ﴿**إِنَّهُمْ كَانُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ * وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوٓاْ ءَالِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍ**﴾ [الصافات – ٣٥] .

فتبين أن المطلوب منهم بهذه الكلمةِ تركُ عبادةِ الآلهةِ، وذلك الترك لا يَدْخُلُ أحدٌ في الإسلام إلا به، كما قال آزر لابنه إبراهيم عليه السلام ﴿أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنْ ءَالِهَتِى يَآإِبْرَاهِيمَ﴾ وهذا هو معنى الحنيف في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتاً لِّلَّهِ حَنِيفاً وَلَمْ يَكُ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [النحل - ١٢٠] وفسر «الحنيف» بأنه المُقْبِلُ على الله، المعرضُ عن كلِّ ما سواه. قاله ابن القيم.

وقال ابن كثير: الحنيف المنحرف عن الشرك قصداً إلى التوحيد .

وكل سورة من القرآن ففيها ما يدل على هذا التوحيدِ، فتارةً يأمر به الله عباده، وتارة ينهاهم عن الشرك المنافي له، كما سنذكر بعضَ ذلك إن شاء الله في هذا الجواب، وبالله التوفيق، وهو حسبنا ونعم الوكيل.

القسم[1] الثالث :

توحيد الأسماء والصفات وهو العلم والإعتقاد بأن الله تعالى بكل شيء عليم، وعلى كل شيء قدير، حي قيوم، لا تأخذه سنة ولا نوم، منزَّه عن كل عيب ونقص، له المشيئة النافذة، والحكمة البالغة، سميع بصير، رؤوف، رحيم، على العرش استوى، المؤمن، المهيمن، العزيز، الجبار، المتكبر، سبحان الله عما يشركون، له الأسماء الحسنى والصفات العُلَى .

---

(١) سقطت: «القسم» من ط الثانية.

فما أثبت الله لنفسه، وأثبته له رسوله من صفات الكمال ونعوت الجلال وجب إثباته له على ما يليق بجلال الله تعالى وعظمته: إثباتاً بلا تمثيل، وتنزيهاً بلا تعطيل .

وهذا هو الذي عليه الصحابة، والتابعون، والأئمة الأربعة، ومن في طبقتهم، ومن بعدهم من أهل الحديث، وأتباع الأئمة الأربعة من أهل الحديث، والفقهاء من أهل السنة والجماعة .

وأول ما حدث من الإلحاد في أسماء الله وصفاته بنفي ما دلت عليه الأسماء والصفات: مقالة الجعد بن درهم. فأنكر ذلك أهل العلم من التابعين، وضَحَّى به الأمير خالد بن عبدالله القسري، وقصته مشهورة في التاريخ[1]. قال العلامة ابن القيم:

وَلِأجْلِ ذَا ضَحَّى بجعدٍ خالدُ الـ ـقسرِيُّ يومَ ذبائِحِ القُرْبَانِ
شَكَرَ الضَّحِيَّةَ كلُّ صاحبِ سنَّةٍ لله دَرُّكَ مِنْ أَخِيْ قُرْبَانِ

---

(١) أخرج القصة البخاري في خلق أفعال العباد ص ٢٩، والدارمي في الردّ على الجهمية ــ مجموع عقائد السلف ــ ص ٢٥٨، والآجري في الشريعة ص ٩٧ ــ ٣٢٨، والبيهقي في الأسماء والصفات ص، وفي سننه ــ كتاب الشهادات ــ باب ما ترد به شهادة أهل الأهواء ١٠/٢٠٥.

جميعهم من طريق: عبدالرحمن بن محمد بن حبيب بن أبي حبيب عن أبيه عن جده قال: شهدت خالد بن عبدالله القسري وهو يخطب، فلما فرغ من خطبته ــ وذلك يوم النحر ــ قال:

ارجعوا فضحوا، تقبل الله منكم، فإني مضح بالجعد بن درهم، إنه زعم أن الله عز وجل لم يكلم موسى تكليماً، ولم يتخذ إبراهيم خليلًا، تعالى الله عما يقول الجعد بن درهم علواً كبيراً، ثم نزل فذبحه. =

= هذا لفظ الآجري.

وإسناد القصة: ضعيف، علته: عبدالرحمن بن محمد بن حبيب، قال عنه الحافظ في التقريب: «مقبول» وقال الذهبي في الميزان: «لا يعرف».

وأبوه محمد بن حبيب، قال فيه الحافظ بن حجر: «مجهول» وكذا قال الذهبي في الميزان.

وأبوه حبيب بن أبي حبيب قال عنده الدار قطني: «شيخ بصري لا يعتبر به» وقال ابن عدي: «هو قليل الحديث أرجو أنه لا بأس به» وقال ابن حجر: «صدوق يخطىء».

وأما خالد بن عبدالله القسري فقد كان أميراً لمكة في ولاية الوليد بن عبدالملك، ثم عزله سليمان بن عبدالملك. وفي سنة (١٠٦) ولّاه هشام على العراق، ثم عزله سنة (١٢٥) وقتل سنة (١٢٦) قاله خليفة بن خياط.

قال الذهبي في الميزان في ترجمة «خالد بن عبدالله»: صدوق لكنه ناصبي بغيض، ظلوم، قال ابن معين: رجل سوء يقع في علي. اهـ ونقل ابن حجر ـــ رحمه الله ـــ عن العقيلي أنه قال: لا يتابع على حديثه، وله أخبار شهيرة، وأقوال فظيعة، ذكرها ابن جرير وأبو الفرج الأصبهاني والمبرد وغيرهم اهـ.

وقد انتصر له ابن كثير في البداية والنهاية ٢٤/١٠. وقال بعد أن نقل عن الأصمعي أنه قال عن أبيه: إن خالداً حفر بئراً بمكة ادعى فضلها على زمزم، وأنه فضل الخليفة على الرسول :ـــ

والذي يظهر أن هذا لا يصح عنه، فإنه كان قائماً في إطفاء الضلال والبدع، كما قدمنا من قتله للجعد بن درهم وغيره من أهل الإلحاد، وقد نَسَبَ إليه صاحب (العَقْد) أشياء لا تصح، لأن صاحب العقد ـــ الأصبهاني ـــ كان فيه تشيع شنيع، ومغالات في أهل البيت، وربما لا يفهم أحد من كلامه ما فيه من التشيع، وقد اغتر به شيخنا الذهبي فمدحه بالحفظ وغيره اهـ.

قال الذهبي في السير ٤٣٢/٥ بعد أن ساق قصة قتله للجعد:

هذه من حسناته، هي وقتله: مغيرة الكذاب اهـ.

قلت: اشتهار القصة، وجزم الحافظين الذهبي وابن كثير وغيرهما من الحفاظ بها يغني عن إسنادها والعلم عند الله تعالى.

ثم جاء بعده جهم بن صفوان فجحد صفات الرّبّ وحكمته، وأنكر ذلك عليه الأئمةُ من الفقهاء وأهل الحديث، وصنفوا المصنفاتِ في رَدِّ قوله، وإثبات صفات الرب تعالى، واستدلوا بأدلة الكتاب والسنة وآثار السلف على إثبات ما وصف الله به نفسه ووصفه به رسوله، لا يتجاوزون القرآن والحديث، وهم العدد الكثير، والْجَمُّ الغفير.

والأمر كما قال نعيم بن حماد الخزاعي، شيخ البخاري، قال: «من شبه الله بخلقه فقد كفر، ومن جحد ما وصف الله به نفسه فقد كفر، وليس فيما وصف الله به نفسه ووصفه به رسوله تشبيهاً».

وكتبهم مشهورةٌ يتداولها المسلمون، وعَدُّها يَخْرُجُ بنا عَمّا قصدناه من الإختصار.

ومن أراد الإطلاعَ على معتقد أهل السنة والجماعة سلفاً وخلفاً فليطالع تفسير الإمام أبي جعفر محمد بن جرير الطبري، وتفسير الحسين بن مسعود البغوي، وتفسير العماد بن كثير الشافعي، ونحوها من تفاسير أهل السنة.

وكذلك كتب الحديث: كالصحيحين والسنن والمسانيد، فإن الحق عليه نور. والحمد لله على معرفة الحق، واتباع سبل أهل الإيمان والصدق، حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه غير مكفي ولا مكفور ولا مودع ولا مستغني عنه ربنا .

وهذا حين الشروع في رد شبه هذا العراقي

قال في كراسته : (واليمين بالنبي ﷺ منعقد وبسائر

الأنبياء، كما أطبق عليه علماء المذهب سوى الشيخ فإنه خالف أهل المذهب ولم يصرح بمراده، والظاهر أنه لا يستحب عنده بل يكره كراهة تنزيه) انتهى.

قوله: سوى الشيخ، يعنى به شيخَ الإسلامِ ابنَ تيمية.

أقول : أنظر إلى هذه الجُرْأَةِ والكذبِ على العلماء، ولنذكر كلامَ شيخ الإسلام رحمه الله تعالى، قال في «كتاب الإستغاثة»:

وقد اتفق العلماء على أنه لاتنعقد اليمين بغير الله، وهو الحلف بالمخلوقات كالملائكة والكعبة أو أحد من الشيوخ بل ينهى عنه: إما نهيَ تحريمٍ أو تنزيهٍ، فالصحيح أنه نهيُ تحريمٍ، وهو قولُ أكثرِ العلماءِ، ففي الصحيح عنه ﷺ أنه قال: «**من كان حالفاً فليحلف بالله أو ليصمت**»[1] وفي الترمذي عنه أنه قال: «**من حلف بغير الله فقد أشرك**»[2].

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه ــ كتاب الأيمان والنذور ــ باب لا تحلفوا بآبائكم ــ ١١/٥٣٠، ومسلم في صحيحه ــ كتاب الايمان ــ ٣/١٢٦٧ كلاهما عن ابن عمر.. به.
ورواه أبو داود (٣/٥٦٩) والترمذي (٤/١١٠).

(٢) أخرجه أبو داود ــ كتاب الأيمان والنذور ــ من سننه ٣/٥٧٠، والترمذي ــ كتاب الأيمان والنذور ــ من سننه ٤/١١٠ والإمام أحمد في مسنده، وابن حبان في صحيحه ــ كما في الموارد ص ٢٨٦، والحاكم في مستدركه ٤/٢٩٧، والبيهقي في سننه ١٠/٢٩ كلهم عن سعد بن عبيدة قال: سمع ابن عمر رجلاً يحلف : لا والكعبة، فقال له ابن عمر: إني سمعت رسول الله ﷺ، يقول: «من حلف بغير الله فقد أشرك». =

ولم يقل أحد من العلماء المتقدمين: إنه تنعقد اليمين بأحد من الخلق، إلا في نبينا ﷺ، فإن عن أحمد في ذلك روايتين في انعقاد اليمين به، وقد طرد بعضُ أصحابِه كابن عقيل الخلافَ في سائر الأنبياء، وهذا ضعيف، والقول بانعقاد اليمين بالنبي ﷺ ضعيف

= ولفظ ابن حبان: «قال: كنت عند ابن عمر، فحلف رجل بالكعبة، فقال ابن عمر: ويحك لاتفعل.. إلخ».

وفي لفظ لأحمد ٢/٥٨ ـ ٦٠: «قال: كنت مع ابن عمر في حلقة. قال: فسمع رجلًا في حلقة أخرى وهو يقول: لا وأبي فرماه ابن عمر بالحصى. فقال: إنها كانت يمين عمر، فنهاه النبي ﷺ وقال: إنها شرك».

وقد أعلَّ البيهقي هذا الحديث بقوله بعد إخراجه: «وهذا مما لم يسمعه سعد بن عبيدة من ابن عمر».

ثم احتج البيهقي على هذه الدعوى بما أخرجه من طريق الإمام أحمد ـ وهو في المسند ٢/١٢٥ ـ ٨٦ ـ ثنا محمد بن جعفر ثنا شعبة عن منصور عن سعد بن عبيدة قال: كنت عند عبدالله بن عمر فقمت وتركت رجلًا عنده من كندة، فأتيت سعيد بن المسيب. قال: فجاء الكندي فزعاً. فقال: جاء ابن عمر رجل فقال: أحلف بالكعبة. قال: لا ولكن احلف برب الكعبة. فإن عمر كان يحلف بأبيه. فقال رسول الله ﷺ: لا تحلف بأبيك فإنه من حلف بغير الله فقد أشرك. اهـ. والكندي المذكور اسمه محمد كما جاء في بعض أسانيد أحمد ٢/٦٩. وهو مجهول كما نص عليه أبو حاتم انظر الجرح والتعديل ٨/١٣٢.

قلت: وهذا الإعلال ليس بجيد، فإن الألفاظ التي تقدم ذكرها تردّه. وتصرح بحضور سعد بن عبيدة هذه الحادثة، وقد اجتمع على لفظها ثقتان إمامان: الأعمش عند أحمد والحسن بن عبيدالله النخعي عند ابن حبان.

ويجمع بين الروايتين: بتكرر الحادثة، فمرّة سمعها سعد من ابن عمر، ومرّة سمعها من الكندي. ومن تأمل اللفظين ظهر له ذلك. والله تعالى أعلم.

شاذ، لم يقل به أحدٌ من العلماء فيما نعلم، والذي عليه الجمهور: مالك والشافعي وأبو حنيفة أنه لا تنعقد اليمين به، كإحدى الروايتين عن أحمد، وهو الصحيح. انتهى كلامه.

فانظر حكايةَ هذا الضَّالِّ عن علماء المذهب انعقادَ اليمين بالنبي ﷺ وبسائر الأنبياء وانظر حكايةَ الشيخ الإتفاقَ على أنه لا تنعقد اليمين بالمخلوقات، إلا بالنبي ﷺ فإن عن أحمد روايةً في انعقاد اليمين به، وأن الذي عليه الجمهور عدمُ انعقادِ اليمين به، وانظر إلى تصحيحه أن النهيَ عن الحلف بالمخلوقات نهيُ تحريم، وهذا الملبس يقول: «ولم يصرح بمراده» وأي تصريح أبلغ من هذا، نعوذ بالله من الهوى.

(١)وقال شيخ الإسلام رحمه الله تعالى في موضع آخر: وأما ما نُذِرَ لغير الله كالنَّذْرِ للأصنام والشمس والقمر والقبور ونحوِ ذلك فهو بمنزلة أن يحلف بغير الله من المخلوقات، والحالفُ بالمخلوقات لا وفاءَ عليه ولا كفارةَ، وكذلك النَّاذِرُ للمخلوقات، فإن كلاهما شركٌ، والشركُ ليس له حرمةٌ، بل عليه أن يستغفر الله من هذا، ويقول ما قال النبي ﷺ «**من حلف باللات والعزى فليقل لا إله إلا الله**»(٢).

---

(١) من هنا إلى آخر الفصل سقط من نسخة نصيف.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه ـ كتاب الأيمان والنذور ٥٣٦/١١ باب لايحلف باللات والعزى ولا بالطواغيت.

ومسلم في صحيحه كتاب الأيمان ١٢٦٧/٣ كلاهما عن أبي هريرة قال: =

فانظر هل صرح بأن الحلف بغير الله شرك أم لا.. يتبين لك كذب هذا العراقي .

= قال رسول الله ﷺ: «**من حلف منكم، فقال في حلفه**: باللات. **فليقل: لا إله إلا الله، ومن قال لصاحبه: تعال أقامرك، فليتصدق**» هذا لفظ لمسلم.

وفي لفظ لهما: باللات والعزى.

والحديث أخرجه أصحاب السنن.

فصل

قال العراقي: (**إن المانعَ من نداء الأنبياء والصالحين، وسؤالهم بعد موتهم وفي غيبتهم يستدلُّ على المنع: بأن النداء والطلب عبادةٌ، والعبادةُ لغير الله شرك، قال: فإذا جاز هذا في حقه ﷺ دل على أنه ليس كما يزعمه الخوارج من أن ذلك عبادة، ودل على أنه إذا جاز في حق النبي ﷺ جاز في غيره**).

والجواب أن يقال : هذا الضَّالُّ لايعرف العبادةَ، ولا ما ذكره العماءُ في تعرِيف العبادة، بل هو لا يعرف ما أرسل الله به رسلَه، وأنزل به كتبه من توحيد الإلهية، ووجوبِ إفراده تعالى بالعبادة، بل نشأ على الشرك، وسِيْطَ بلحمه ودمه، فلا يعرف غَيْرَه، ولا يفهم سواه.

قوله : (إن المانع من نداء الأنبياء والصالحين وسؤالهم بعد موتهم إلـخ..).

أقول : انظر إلى شدَّةِ جهالته، وعظمة ضلالته، لَمّا رأى شناعة إطلاق القولِ بجواز دعاء غير الله تعالى عدل إلى لفظ النداء تلبيساً وتمويهاً على الجهال والطغام، فكأنه لم يسمع ما ذكره الله تعالى في كتابه من أن مدلولَ النداء والدعاء واحدٌ.

قال الله تعالى: ﴿**ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُۥ زَكَرِيَّآ * إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ نِدَآءً خَفِيًّا * قَالَ رَبِّ إِنِّى وَهَنَ ٱلْعَظْمُ مِنِّي**﴾ [مريم – ٣] فقوله ﴿**رَب**﴾ هذا هو الدعاءُ، سماه نداءً ثم قال: ﴿**ولم أكن بدعائك رب شقيا**﴾ فتبين أن النداء في هذه الآية هو الدعاءُ لا غير.

وقال في سورة آل عمران ﴿**هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُۥ قَالَ رَبِّ**﴾ [آل عمران–٤٨] فقوله ﴿**ربِّ**﴾ هو الدعاءُ في قوله ﴿**هُنَالِكَ دَعَا**﴾

ففي سورة مريم قال ﴿**إذ نادى**﴾ وفي سورة آل عمران قال ﴿**دعا**﴾ والصيغة واحدة، ثم قال: ﴿**إِنَّكَ سَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ**﴾.

وقال تعالى: ﴿**وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَاضِباً فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَىٰ فِي ٱلظُّلُمَاتِ أَن لَّا إِلَـٰهَ إِلَّا أَنتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّالِمِينَ**﴾ [الأنبياء–٨٧] وفي الحديث مرفوعاً «**دعوة أخي ذي النون لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين ما دعا بها مكروب إلا فرج الله عنه**»[1].

وقال تعالى: ﴿**وَنُوحاً إِذْ نَادَىٰ مِن قَبْلُ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ**﴾. [الأنبياء–٧٦].

وقال : ﴿**فَدَعَا رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَغْلُوبٌ فَٱنتَصِرْ**﴾ [القمر–١٠].

فمدلول الدعاء والنداءِ واحدٌ .

---

(١) أخرج الترمذي ٥٢٩/٥ نحوه وصححه الحاكم في مستدركه ٥٠٥/١ وهو من حديث سعد بن أبي وقاص.

وأخرجه ابن السني في عمل اليوم والليلة ص ١٣٤ ولفظه: «**إني لأعلم كلمة لا يقولها مكروب إلا فرج الله عنه**».

وقال تعالى : ﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَسَّنِىَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾ [الأنبياء-٨٣] وقوله : ﴿وَزَكَرِيَّآ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ﴾ [الأنبياء-٨٩] الآية .

وفي الحديث عن الصلت بن حكيم بن معاوية بن حيدة القشيري عن أبيه عن جده «أن أعرابياً قال يارسول الله : أقريب ربنا فنناجيه، أم بعيد فنناديه؟ فسكت النبي ﷺ، فأنزل الله تعالى ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لِى وَلْيُؤْمِنُوا۟ بِى﴾ [البقرة-١٨٦] إذا أمرتهم أن يدعوني فدعوني أستجيب لهم» رواه ابن جرير وابن مردويه وأبو الشيخ الأصبهاني من حديث محمد بن حميد عن جرير[١] به[٢].

---

(١) في طبعة نصيف: كَذَا به.

(٢) أخرجه ــ أيضاً ــ ابن أبي حاتم ــ كما في تفسير ابن كثير (٤١٤/١ــ ط المنار) حدثنا أبي حدثنا يحيى بن المغيرة أخبرنا جرير عن عبدة بن أبي برزة السختياني عن الصلت بن الحكيم بن معاوية بن حيدة القشيري عن أبيه عن جدّه أن أعرابياً قال يارسول الله: أقريب ربنا فنناجيه أم بعيد فنناديه؟ فسكت النبي ﷺ فأنزل الله... إلخ.

قال ابن كثير عقبه: رواه ابن جرير (١٥٨/٢ ط الحلبي) عن محمد بن حميد الرازي عن جرير.. به.

ورواه ابن مردويه، وأبو الشيخ الأصبهاني من حديث محمد بن أبي حميد عن جرير.. به. اهـ وأخرجه البغوي في معجمه كما في الدر المنثور للسيوطي.

وابن أبي خيثمة في جزء جمعه في من روى عن أبيه عن جدّه عن محمد بن حميد، والعلائي في كتاب الوشي. ذكر ذلك الحافظ ابن حجر في اللسان.

وأخرجه الدار قطني في المؤتلف والمختلف ١٤٣٥/٣ ــ ١٤٣٦، والخطيب البغدادي في «تلخيص المتشابه» ٤٦٢/١ جميعهم من حديث الصُّلْب بن حكيم.. به. =

والأدلة على هذا من الكتاب والسنة كثيرة، وكذا كلام العرب، قال كعب بن أسد الغنوي:

وداعٍ دعا يامن يجيب إلى الندا فلم يستجبه عند ذاك مجيب
فقلتُ ادع أخرى وارفع الصوت جهرة لعل أبا[1] المغوار منك قريب

وقال آخر:

فخيرٌ نحن عند الناسِ منكم إذا الداعي المثوِّبُ قال يالا

وقال آخر:

فقلت ادعي وأدعو فإن انـ ـدى لصوت أن ينادي داعيان

وفسر قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ﴾ [فصلت-٣٣] بالمؤذن، وهو الذي ينادي بالصلاة.

= وإسناده ضعيف، علته: الصُّلْب ـــ بالباء «الموحدة» هذا هو الصحيح في اسمه، كما رجحه الخطيب واعتمده الدارقطني وحققه الشيخ أحمد شاكر في تعليقه على تفسير ابن جرير ٤٨٠/٣، ٤٨١ ـــ بن حكيم وهو مجهول قاله ابن حجر في اللسان ١٩٥/٣. ونقل عن العلائي قوله: لم أر للصلت ذكراً في كتب الرجال اهـ وتعقبه بأن الدارقطني قد ذكره في المؤتلف والمختلف.

وللحديث علة ثانية وهي الإضطراب، فتارة يرويه الصُّلب عن أبيه عن جدّه. وتارة يرويه عن رجل من الأنصار عن أبيه عن جدّه.. كما عند الدارقطني والخطيب وغيرهما.

تنبيه: ذكر الشيخ الفاضل محمد رشيد رضا في تعليقه على تفسير ابن كثير أن الذهبي قال في الميزان عن الصلت: مجهول.. اهـ قلت هذا من كلام الحافظ في اللسان. ولم أر الذهبي ترجم للصلت في الميزان. لذا تعقبه ابن حجر فأورده في اللسان.

وقال رحمه الله أيضاً: «.. وزاد الحافظ في لسان الميزان: إنه ليس للصلت ولا لأبيه ولا لجدّه ذكر في كتب الرجال..» قلت صواب عبارة ابن حجر: «في كتب الرواة».

(١) في الطبعتين: «أبي».

والمقصود أن الآيات القرآنية، والأحاديث النبوية، وكلام العرب دالة[1] على أن النداء الذي هو السؤال والطلب هو مسمى الدعاء، ومعناهما واحد، ويأتي في هذا ما يكفي ويشفي إن شاء الله تعالى كقوله تعالى: ﴿**وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَامَةِ وَهُمْ عَن دُعَآئِهِمْ غَافِلُونَ**﴾ [الأحقاف-٥] الآيات.

وهذا صريح في أن المراد بهذا الدعاء السؤال والطلب من غير الله، وهذه حال الميت والغائب لا يستجيب للداعي، وهو أيضاً غافل عنه.

وهذا الدعاء الذي نهى الله عن أن يقصد به غيره يجمع من أنواع العبادة كثيراً: **منها** أن الداعي يتوجه بوجهه وقلبه ولسانه إلى غير الله، ويتضمن رجاءه والرغبة إليه والإعتماد عليه، ولذلك وصفه الله تعالى بغاية الضلال، وأخبر أن ذلك يعود عليه بالخيبة والوبال في مقام الحشر، فيخونه ذلك الدعاءُ أحوجَ ما يكون إليه.

إذا تبين هذا فالتحقيق أن بين الدعاء والنداء عموماً وخصوصاً مطلقاً[2]، فيجتمعان في السؤال والطلب إذا كان عن رغبة أو رهبة، وينفرد الدعاءُ إذا كان عبادةً كالتسبيح والتحميد والتكبير وغيرِ ذلك.

---

(١) في الطبعة الثانية: «دل».

(٢) في الطبعة الثانية: «عموم وخصوص مطلق».

إذا عرفت هذا فإن أشكل عليك كون الدعاءِ عبادةً فاطلب الأدلةَ على ذلك من القرآن الكريم[1]، فإن لم يكفك ــ لا كفاك الله ــ فاطلبها من السنة، فإن لم تكفك فقد تمَّ خسرانك .

قال تعالى: ﴿**قُلْ إِنِّي نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ**﴾ [الأنعام-٥٦] في سورة الأنعام والمؤمن، وقال تعالى: ﴿**لَهُ دَعْوَةُ ٱلْحَقِّ وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُم بِشَىْءٍ**﴾ [الرعد-١٤] الآية. وهذه الآية في دعاء المسألة دلت على أنه مختص بالله دون من سواه، لأن تقدم المعمول يفيد الحصر، ثم قال: ﴿**وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُم بِشَىْءٍ**﴾ [الرعد-١٤] بين أن دعاء غيره لا يحصل لداعية غرضه، وهذا جنس الشرك في الإلهية.

وفي حديث أنس الذي في السنن والمسانيد مرفوعاً «**الدعاء مخ العبادة**»[2] وفي السنن مرفوعاً في حديث النعمان بن بشير «الدعاءُ هو العبادة» ثم تلا ﴿**وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ**﴾.

وتقرير هذا في كتاب الله تعالى: فإن الله سبحانه وتعالى أمر عباده بدعائه، ورغبهم فيه، ووعدهم الإجابة فقال تعالى: ﴿**وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّى فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ**

(١) سقطت: «الكريم» من الطبعة الثانية.

(٢) حديث أنس رواه الترمذي في سننه، وسنده ضعيف، ويغني عنه حديث النعمان بن بشير بعده، وهو حديث صحيح الإسناد، وقد تقدم الكلام عليهما.

فَلْيَسْتَجِيبُواْ لِي وَلْيُؤْمِنُواْ بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ [البقرة-١٨٦].
وأمرهم بدعائه في مواضع كثيرة من كتابه كقوله ﴿**ٱدْعُواْ رَبَّكُمْ تَضَرُّعاً وَخُفْيَةً**﴾ [الأعراف-٥٥] إلى قوله: ﴿**وَٱدْعُوهُ خَوْفاً وَطَمَعاً**﴾ [الأعراف-٥٦] وقال: ﴿**فَٱدْعُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ**﴾ [غافر-١٤] وقال: ﴿**فَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ**﴾ [غافر-٦٥] فأوجب على عباده أن يخلصوا له الدعاءَ بنوعيه: دعاء المسألة، ودعاء العبادة، وكل منهما يتضمن الآخر .

وقد تقدم أن الله تعالى قد اختص به في قوله: ﴿**لَهُ دَعْوَةُ ٱلْحَقِّ**﴾ [الرعد-١٤] وقال تعالى: ﴿**وَأَنَّ ٱلْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَداً**﴾ [الجن-١٨] وقوله: ﴿**قُلْ إِنَّمَآ أَدْعُواْ رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِهِ أَحَداً**﴾ [الجن-٢٠].

وهذه الآيات مع ماتقدم فيها الدلالة على أن دعوة غير الله شركٌ وضلال، كما قال: ﴿**وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَامَةِ**﴾ [الأحقاف-٥].

وفي الترمذي من حديث أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ «**يخرج عنق من النار له عينان يبصران، وأذنان يسمعان، ولسان ينطق، يقول إني وكلت بثلاثة: بكل جبار عنيد، وبكل من دعا مع الله إلهاً آخر، وبالمصورين**» حديث حسن صحيح غريب(١).

---

(١) أخرجه الترمذي في كتاب صفة جهنم من سننه ٧٠١/٤ حدثنا عبدالله بن معاوية الجمحي حدثنا عبدالعزيز بن مسلم عن الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «**تخرج عُنُق من النار يوم القيامة لها عينان**»..إلخ.
قال الترمذي: وفي الباب عن أبي سعيد. هذا حديث حسن غريب صحيح، وقد =

أما علمت أن الله تعالى أمر نبيه بإخلاص العبادة له، كما نهاه أن يدعو غيره فقال: ﴿فَٱعْبُدِ ٱللَّهَ مُخْلِصاً لَّهُ ٱلدِّينَ * أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ﴾ [الزمر-٣] وقال في آخر السورة ﴿قُلْ أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ تَأْمُرُوٓنِّىٓ أَعْبُدُ أَيُّهَا ٱلْجَاهِلُونَ﴾ [الزمر-٦٤].

وقد دعا ﷺ إلى إخلاص جميع أنواع العبادة لله، وخلع الأنداد التي كانت تعبدها أهل الجاهلية من صنم وغيره، وجاهدهم على ذلك حق الجهاد، وناظر النصارى في عبادتهم المسيح بن مريم عليهما السلام، وأنزل الله تعالى النهي عن دعوة الأنبياء والصالحين والملائكة فقال: ﴿قُلِ ٱدْعُواْ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِهِ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ ٱلضُّرِّ عَنكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا﴾ [الإسراء-٥٦] والآيات بعدها، نزلت فيمن يدعو المسيح وأمه والعزير والملائكة في قول أكثر المفسرين من السلف.

فمن بلغته هذه الأدلة وظن أن رسول الله ﷺ يرضيه الإعراضُ عن سؤال ربه، والرغبة إليه ورجائه[1] والإعتماد عليه: فقد ظن برسول الله ﷺ ما هو بريء منه، كما برأه الله تعالى بقوله:

= رواه بعضهم عن الأعمش عن عطية عن أبي سعيد عن النبي ﷺ نحو هذا. وروى أشعث بن سوار عن عطية عن أبي سعيد الخدري عن النبي ﷺ نحوه. اهـ. وقد روى الإمام أحمد ٢/٣٣٦ حديث أبي هريرة باللفظ الذي ذكره المصنف «يخرج عنق من النار يوم القيامة له.. إلخ» من طريق الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة... به وسنده جيد، والأعمش إذا عنعن عن مثل أبي صالح قُبل حديثه.

(١) في طبعة نصيف: «رجاؤه».

﴿قُلْ إِنَّمَآ أَدْعُواْ رَبِّى وَلَآ أُشْرِكُ بِهِ أَحَداً﴾ [الجن–٢٠] وقوله: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَامَةِ وَهُمْ عَن دُعَآئِهِمْ غَافِلُونَ * وَإِذَا حُشِرَ ٱلنَّاسُ كَانُواْ لَهُمْ أَعْدَآءً وَكَانُواْ بِعِبَادَتِهِمْ كَافِرِينَ﴾ [الأحقاف–٥].

ففي هذه الآية من الأدلة على بطلان دعوة غير الله فوائد:

منها أن الله حكم على من دعا غيره بغاية الضلال، وبين أن المدعو لا يستجيب له، وأنه غافل عن دعائه، تكذيباً لمن ادعى غير ذلك من المشركين، وأنه يوم القيامة يكون عدواً لمن دعاه في دار الدنيا، وأنه ينكر عبادته له ويبرأ إلى الله منها، كما أخبر عن المسيح عليه السلام أنه قال: ﴿مَاقُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَآ أَمَرْتَنِى بِهِ أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ﴾ [المائدة–١١٧] فخان المشركَ دعاؤه لغير الله أحوجَ ما كان إليه، وعامله الله بنقيض قصده.

ويشبه هذه الآية قولُه تعالى: ﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ ٱلْمُلْكُ وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ * إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُواْ دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُواْ مَا ٱسْتَجَابُواْ لَكُمْ وَيَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ﴾ [فاطر–١٣] **ففي هذه الآية ست جمل تَقطَع عرق الشرك، وتبطل دعوة غير الله كائناً من كان:**

الجملة الأولى قوله: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ ٱلْمُلْكُ﴾ فهو المختص بالملك، كما هو المختص بالعبادة.

وقوله: ﴿وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ﴾ دليل على أن غيره لا يملك شيئاً، فإذا كان الأمر كذلك وجب أن لا يدعى غيره.

وقوله: ﴿إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُواْ دُعَآءَكُمْ﴾ وهذا نقيض ما عند المشركين أن المدعوَّ الميت يسمع ممن دعاه، والله تعالى يقول: ﴿إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُواْ دُعَآءَكُمْ﴾ آمنا بالله، وكذّبنا من أشرك بالله.

وقوله: ﴿وَلَوْ سَمِعُواْ مَا ٱسْتَجَابُواْ لَكُمْ﴾ يدل على أن الإستجابة ممتنعة في حق من دعا غير الله، فخاب أمله، وضل سعيه.

وقوله: ﴿وَيَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ﴾ فيه أنَّ دعوة غير الله شرك بالنص، وأن المدعو يكفر بها يوم القيامة، أي ينكرها ويبرأ إلى الله من ذلك الشرك.

﴿وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ﴾ ففيه وجوب الإيمان بما دلت عليه هذه الآية، وتصديقه فيما أخبر .

وتضمنت هذه الآية أن الدعاء الذي نهى الله عنه في هذه الآية[1] أنه دعاء المسألة، بدليل قوله: ﴿لَا يَسْمَعُواْ دُعَاءَكُمْ﴾.

والأدوات التي تستعمل في الدعاء كثيرة معروفة، وأكثر ما يستعمل منها في الكتاب والسنة وغيرهما «يا» الممدودة كقوله: ﴿رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْأَخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾ [البقرة-٢٠١] وقوله: ﴿رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا﴾ [آل عمران-١٤٧] ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا﴾ [البقرة-٢٨٦] التقدير: ياربنا.

---

(١) سقطت «الآية» من الطبعة الثانية.

وتستعمل في الدعاء مذكورة كما جاء في كثير من الأحاديث كقوله: «**ياحي ياقيوم**»(١).

---

(١) قال الترمذي في سننه ٥/٥٣٩ ــ كتاب الدعوات ــ حدثنا محمد بن حاتم المكتّب، حدثنا أبو بدر شجاع بن الوليد عن الرُّحيْل بن معاوية أخي زهير بن معاوية عن الرقاشي عن أنس بن مالك قال: كان النبي ﷺ إذا كربه أمر قال: ياحي ياقيوم برحمتك أستغيث. قال أبو عيسى: هذا حديث غريب.

وهو كما قال، فإن الرقاشي ضعيف عندهم. وهو يزيد بن أبان، كما صرّح بذلك ابن السني في عمل اليوم والليلة (ص٩٠ ط الهند).

قال النسائي: متروك، وقال الدارقطني: ضعيف، وقال أحمد: كان يزيد منكر الحديث. وقال ابن معين: في حديثه ضعف ليس بالقوي. وأفحش القول فيه شعبة فقال: لإن أزني أحبُّ إلي من أن أحدث عن يزيد الرقاشي. لكن قال أحمد بن حنبل: إنما بلغنا هذا في أبان. انظر هذه الأقوال في الميزان والتهذيب.

وللحديث شواهد كثيرة منها ما أخرجه الترمذي أيضاً في سننه ٥/٤٩٥ حدثنا أبو سلمة يحيى بن المغيرة المخزومي المدني وغير واحد قالوا: حدثنا ابن أبي فديك عن إبراهيم بن الفضل عن المقبري عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ كان إذا أهمه الأمر رفع رأسه إلى السماء فقال: سبحان الله العظيم، وإذا اجتهد في الدعاء قال: ياحي ياقيوم. قال أبو عيسى: هذا حديث غريب اهـ قال الحافظ ــ كما في شرح الأذكار لإبن علان ٤/٦ ــ ورجاله ثقات إلا إبراهيم بن الفضل مولى بني مخزوم فإنهم اتفقوا على ضعفه، وقال البخاري: منكر الحديث، وقد قال: من قلت فيه منكر الحديث لا تحل الرواية عنه اهـ ورمز السيوطي لضعفه في الجامع الصغير (٥/١١١ من نسخة الشرح).

وأخرج الحاكم في مستدركه ١/٥٠٩ من طريق عبدالرحمن بن إسحاق ثنا القاسم بن عبدالرحمن عن أبيه عن ابن مسعود قال: كان رسول الله ﷺ إذا نزل به همٌّ أو غَمٌّ قال: ياحي ياقيوم برحمتك استغيث.

قال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه اهـ. =

= قلت: عبدالرحمن بن إسحاق هو: ابن سعد بن الحارث أبو شيبة الواسطي ضعيف عندهم، قال أحمد: ليس بشيء منكر الحديث، وقال ابن معين: ضعيف ليس بشيء. وقال ابن سعد ويعقوب بن سفيان وأبو داود والنسائي وابن حبان: ضعيف. وقال النسائي: ليس بذاك، وقال: البخاري فيه نظر. وقال أبو زرعة: ليس بالقوي. وقال أبو حاتم: ضعيف الحديث منكر الحديث، يكتب حديثه ولا يحتج به. وقال ابن خزيمة لا يحتج بحديثه. (انظر هذه الأقوال في التهذيب).

وأخرج النسائي في عمل اليوم والليلة ص ٣٩٧ أخبرنا محمد بن بشار قال: حدثنا عبيد الله بن عبدالمجيد الحنفي قال حدثنا عبيدالله بن عبدالرحمن بن موهب عن إسماعيل بن عون بن عبيد الله بن أبي رافع عن عبدالله بن محمد بن عمر بن علي بن أبي طالب عن أبيه محمد بن عمر بن علي عن علي قال: «لما كان يوم بدر قاتلت شيئا من قتال ثم جئت إلى رسول الله ﷺ أنظر ما صنع، فجئت فإذا هو ساجد يقول: ياحي ياقيوم.. إلخ.

وسنده ضعيف علته: الإنقطاع: فإن محمد بن عمر لم يدرك جدّه علياً قال الحافظ ابن حجر في التقريب: روايته عن جده مرسلة. ومحمد هذا قال عنه ابن القطان ــ كما في التقريب ــ حاله مجهول. وزعم أنه محمد بن عمر بن علي بن الحسين بن أبي طالب اهـ وقد وهمه الحافظ في هذا الزعم. وقال في التقريب: صدوق من السادسة اهـ وقد وثقه ابن حبان. وقال الذهبي في الميزان: ما علمت به بأساً، ولا رأيت لهم فيه كلاماً، وقد روى له أصحاب السنن الأربعة فما استنكر له حديث اهـ.

وفي السند: عبيد الله بن عبدالرحمن بن موهب، قال الحافظ ابن حجر: ليس بالقوي اهـ وإسماعيل بن عون بن عبيد الله بن أبي رافع، ويقال: إسماعيل بن عون بن علي بن عبدالله..

قال فيه الحافظ: مقبول اهـ من التقريب.

تنبيه: وقع في «عمل اليوم والليلة» للنسائي: «.. عن إسماعيل بن عون عن عبيدالله بن أبي رافع..» وهو خطأ، صوابه: «ابن عبيدالله» بدل «عن عبيدالله». =

«ياذا الجلال والإكرام»[1] **«يابديع السموات والأرض»**[2]، ياودود، ياذا العرش المجيد، يافعال لما يريد، ونحو ذلك. وهذا كثير مطرد لا يقدر أحد على دفعه.

ويأتي الدعاء أيضاً بصيغة الخبر ومعناه الدعاء كقولنا: صلى الله على النبي محمد، وقولهم بارك الله فيك، ونحو ذلك.

والعجب أن هذا خَفِيَ على من يدعي المعرفة، وسببه نسيان العلم، كما ذكره الله تعالى في قوله: **﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ**

= وأخرج النسائي في عمل اليوم والليلة أيضاً ص ٣٩٧: أخبرنا محمد بن عبدالأعلى قال: حدثنا المعتمر عن أبيه عن أنس قال: كان من دعاء النبي ﷺ: أي حي أي قيوم.

وهذا إسناد صحيح رجاله ثقات، وقد أخرجه ابن حجر في النتائج من طريقين عن معتمر بن سليمان عن أبيه عن أنس «كان من دعاء النبي ﷺ: ياحي ياقيوم». قال: وهذا حديث صحيح أخرجه ابن خزيمة . اهـ من شرح الأذكار لابن علان ٤/٥.

وفي الباب أحاديث أخرى ليس هذا موضع بسطها. والله تعالى أعلم.

(١) وردت أحاديث في قول النبي ﷺ: «ياذا الجلال والإكرام» منها ما رواه مسلم في صحيحه ــ كتاب المساجد ــ ٤١٤/١ عن ثوبان رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ إذا انصرف من صلاته، استغفر ثلاثاً، وقال: اللهم أنت السلام ومنك السلام، تباركت ذا الجلال والإكرام.

وفي صحيح مسلم أيضاً عن عائشة قالت: كان النبي ﷺ إذا سلّم، لم يقعد إلا مقدار ما يقول: اللهم أنت السلام ومنك السلام تبارك ذا الجلال والإكرام، وفي رواية له: «ياذا الجلال والإكرام».

(٢) تقدم الكلام عليه في «الردّ على القبوريين» لابن معمر.

مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَقُولُ ءَأَنتُمْ أَضْلَلْتُمْ عِبَادِى هَٰٓؤُلَآءِ أَمْ هُمْ ضَلُّواْ ٱلسَّبِيلَ * قَالُواْ سُبْحَانَكَ مَا كَانَ يَنبَغِي لَنَآ أَن نَّتَّخِذَ مِن دُونِكَ مِنْ أَوْلِيَآءَ وَلَٰكِن مَّتَّعْتَهُمْ وَءَابَآءَهُمْ حَتَّىٰ نَسُواْ ٱلذِّكْرَ وَكَانُواْ قَوْماً بُوراً﴾ [الفرقان–١٨].

فنسيان الذكر من أعظم أسباب ضلال من ضل عن الهدى، وقد قال تعالى: **﴿وَمَن يَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهاً آخر لَا بُرْهَٰنَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِندَ رَبِّهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾** [المؤمنون–١١٧] فدلت هذه الآية الكريمة على أن من دعا مع الله إلهاً آخر أنه كافر بالله، لأنه صرف هذا النوعَ الذي هو من خصائص الإلٓهية لمن لا[1] يستحقه، ووضع العبادة في غير موضعها.

ونظير هذه الآية قوله تعالى: **﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَتْهُمْ رُسُلُنَا يَتَوَفَّوْنَهُمْ قَالُوٓاْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ قَالُواْ ضَلُّواْ عَنَّا وَشَهِدُواْ عَلَىٰٓ أنفسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُواْ كَافِرِينَ﴾** [الأنعام–١٣٠] فلم ينفعهم ذلك الدعاء في الوقت الذي أمّلوا فيه نفعه، فوقعوا في نقيض قصدهم، وخاب أملهم وسعيهم، وشهدوا على أنفسهم بالكفر.

---

(١) في طبعة نصيف: «إلى من لا».

فصل

وقد أمر الله سبحانه بدعائه، وشرعه لعباده، وأحبه منهم، وسماه ديناً، وأتى فيه بأل المعرفة المؤكدة، فقال: ﴿فَٱدْعُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَـٰفِرُونَ﴾ وهذا شأن العبادات، فما[1] أمر به سبحانه عبادَه، ففعله عبادة، وفي الحديث: «من لم يسألِ الله يَغْضَبْ عليه»[2] وفي حديث آخر «الدعاءُ سلاحُ المؤمنِ، وعمادُ الدينِ، ونورُ السمواتِ والأرضِ»[3] فكيف والحالة هذه أن يجعل لله شريكاً فيما شرعه لعباده، وأمرهم بأن يخلصوه له، ونهاهم أن يجعلوا له شريكاً فيه، كما قال تعالى: ﴿قُلْ أَنَدْعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا وَنُرَدُّ عَلَىٰٓ أَعْقَابِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ﴾ [الأنعام-٧١] إلى قوله: ﴿وَأُمِرْنَا لِنُسْلِمَ لِرَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾ [الأنعام-٧١].

وقد تقرر أن الدعاءَ يجمع من أنواع العبادة كثيراً: كإسلام الوجه لمن يدعوه، والرغبة إليه، والإعتماد عليه، والخضوع له، والإطراح والتذلل، فمن أسلم وجهه لغير الله فهو مشركٌ شاءَ أم أبى،

---

(١) في الطبعة الثانية: مما.

(٢) تقدم في الردّ على القبوريين.

(٣) تقدم في الردّ على القبوريين.

ومن رغب عن الله إلى غيره فكذلك، قال الله تعالى: **﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِيناً مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَٱتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفاً وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا﴾** [النساء-١٢٥].

قال ابن كثير في الآية: أي أخلص العمل لربه عز وجل، فعمل إيماناً واحتساباً (وهو محسن) أي مُتَّبِعٌ[١] في عمله ما شرع الله له، وما أرسل به رسوله من الهدى ودين الحق..،[٢] فمن فقد الإخلاص كان منافقاً.. ومن فقد المتابعة كان ضالًا جاهلًا، ومتى جمعهما فهو عمل المؤمنين، الذين يُتَقَبَّلُ منهم أحسنَ ما عملوا، ويتجاوز عن سيئاتهم في أصحاب الجنة وعد الصدق الذي كانوا يوعدون[٣].

والحنيف هو المقبل على الله، المعرض عن كل ما سواه، كما تقدم، وهذا هو حقيقة دين الإسلام.

وقد اشتدت غربته في هذا الزمان وقبله، حتى عاد المعروف منكراً، والمنكر معروفاً، والسنة بدعة، والبدعة سنة، نشأ على هذا الصغير، وهَرِمَ عليه الكبير، وعظمت الفتنة بأرباب القبور، ورغب كثير عن إخلاص العبادة للذي له الملك كله، والقدرة التامة، والمشيئة النافذة، فجعلوا له شركاءَ في عبادته .

والحاذق منهم يتعلق بأمر الشفاعة، وقد أخبر تعالى أن

---

(١) في ابن كثير: أي اتبع.

(٢) حذف الشيخ سطرين من كلام ابن كثير طلباً للاختصار والإقتصار.

(٣) اهـ كلام ابن كثير باختصار.

الشفاعة جميعها له: فمن طلبها من غير الله فقد طلبها ممن لا يملكها، ولا يسمع ولا يستجيب، وفي غير الوقت الذي تقع فيه، ولا قدرة له عليها إلا برضاء من هي له، وإذنه فيها، وقبوله، فطلبها ممن هي له في دار العمل عبادةٌ من جملة العبادات، وصرفُ ذلك الطلبِ لغيره شرك عظيم.

ومن تدبر آياتِ الشفاعة حقَّ التدبرعلم علماً يقيناً أنها لا تقع إلا لمن أخلص أعماله كلها لله، واتبع ما جاء به رسوله ﷺ من توحيده وشرائع دينه، فليس لله من عمل عَبْدِه إلا الإخلاص، كما قال تعالى: ﴿ **أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ**﴾ [الزمر-٣] وقال: ﴿**لَن يَنَالَ ٱللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَآؤُهَا وَلَـٰكِن يَنَالُهُ ٱلتَّقْوَىٰ مِنكُمْ**﴾ [الحج-٣٧] وهو لا يقبل الشِّرْكَةَ في الأعمال ولا يرضاها، قال تعالى: ﴿**إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ**﴾ [النساء-٤٨] وقال تعالى: ﴿**إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ ٱلنَّارُ**﴾ [المائدة-٧٢].

وكما صح من حديث أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «**يقول الله تعالى: أنا أغنى الأغنياء عن الشرك، من عمل عملًا أشرك معي فيه غيري تركته وشركه**»[1].

---

(١) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه ــ كتاب الزهد والرقائق ــ ٤/٢٢٨٩ عن أبي هريرة.

فصل

والدعاء صلاة، وهو اسمه لغةً، وجاء في القرآن كذلك، قال تعالى: ﴿**وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ**﴾ [التوبة-١٠٣] أي ادع لهم.

وفي الحديث من هذا كثير: فمن ذلك قوله ﷺ: «**الملائكة تصلي على أحدكم ما دام في مصلاه الذي صلى فيه مالم يحدث، اللهم اغفر له اللهم ارحمه**»[١].

قال الحافظ العراقي: المراد بصلاة الملائكة عليه ما فَسَّره به في بقية الحديثِ من قوله[٢]: «اللهم اغفر له اللهم ارحمه» وهذا دعاء، وشواهده في اللغة كذلك.

ومنه قول الأعشى :

تَقُول بِنْتِي وقد قَرَّبْتُ مُرتحِلًا يارِبِّ جنبْ أبِي الأوصابَ والوَجَعاَ

عليكِ مثلُ الذي صَلَّيْتِ فاغتمضي نوماً فإن لجنبِ المرءِ مضطجعاَ

فإذا كان الدعاء صلاةً لغةً، وجاء كذلك في الكتاب والسنة

---

(١) رواه البخاري في مواضع من صحيحه ١٤٢/٢ «فتح»، ومسلم ٤٥٩/١.

(٢) في نسخة نصيف: «من قولهم» أي الملائكة.

عُلم بذلك أن قول الله تعالى ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ * لَا شَرِيكَ لَهُۥ﴾ [الأنعام-١٦٢] يتناول الدعاء، ولا ريب أن الصلاة الشرعية تتضمن الدعوات الواجبة، والتحقيق أنها سميت صلاة لاشتمالها على نوعي الدعاء: دعاء المسألة، ودعاء العبادة، فلا تخرج عنهما، كما سيأتي تقريره إن شاء الله تعالى.

وقد أمر النبي ﷺ أصحابه بالإكثار من الدعاء في السجود، فقال: «**فأما الركوع فعظموا فيه الرَّبَّ تعالى، وأما السجود فأكثروا فيه من الدعاء فَقَمِنٌ أن يستجاب لكم**»[1].

قال النووي في شرح مسلم: اختلف العلماء في أصل الصلاة فقيل: هي الدعاء لاشتمالها عليه، وهذا قول جماهير أهل العربية والفقهاء وغيرهم. انتهى.

وهذا هو الذي قرره العلامة ابن القيم رحمه الله كما سيأتي.

فإذا كانت الصلاة قد اشتملت على الدعاء فلا ريب أنه عبادة، وقد اشتملت على التكبير والتسبيح وهو عبادة أيضاً.

ولا يرتاب مسلم أن التكبير والتسبيح لا يجوز أن يستعمل في حق غير الله، لكونه من خصائص الربوبية، فكذلك الدعاء ولا فرق،

---

(١) أخرجه مسلم من صحيحه ١٩٦/٤ «نووي» عن ابن عباس قال: كشف رسول الله ﷺ الستارة، والناس صفوف خلف أبي بكر، فقال: أيها الناس إنه لم يبق من مبشرات النبوة إلا الرؤيا الصالحة يراها المسلم أو ترى له، ألا وإني نهيت أن أقرأ راكعاً أو ساجداً، فأما الركوع فعظموا فيه الربّ عز وجل وأما السجود فاجتهدوا في الدعاء فقمن أن يستجاب لكم.

فتدبر هذا وما قبله من الأدلة على ذلك. ﴿**فَٱعْتَبِرُواْ يَٰٓأُوْلِى ٱلْأَبْصَٰرِ**﴾ [الحشر-٢].

قال العلامة ابن القيم رحمه الله تعالى في معنى قوله تعالى: ﴿**ٱدْعُواْ رَبَّكُمْ تَضَرُّعاً وَخُفْيَةً**﴾ [الأعراف-٥٥].

يتضمن نوعي الدعاء، لكنه ظاهر في دعاء المسألة، متضمِّن لدعاء العبادة، ولهذا أمر بإخفائه وإسراره .

وقوله: ﴿**وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ**﴾ [البقرة-١٨٦] يتناول نوعي الدعاء، وبكل منهما فسرت الآية: قيل أعطيه إذا سألني، وقيل أثيبه إذا عبدني، والقولان متلازمان.

وليس هذا من استعمال اللفظ المشترك في معنييه، أو حقيقته ومجازه، بل هذا استعماله في حقيقته الواحدة المتضمنة للأمرين جميعاً. فتأمله فإنه عظيم النفع.

وهذا التقرير يأتي في مسألة الصلاة، وأنها نقلت عن مسماها في اللغة وصارت حقيقة شرعية منقولة، أو استعملت في هذه العبادة مجازاً بالعلاقة بينها وبين المسمى اللغوي فضُم إليهما أركان وشرائط، وعلى ما قررناه لا حاجة إلى شيء من ذلك، فإن المصلي من أول صلاته إلى آخرها لا ينفك عن دعاء: إما دعاء عبادة وثناء، أو دعاء طلب ومسألة، وهو في الحالين داع. انتهى ملخصاً[1].

---

(١) من أول المجلد الثالث من بدائع الفوائد.

وفسر القنوت بالدعاء في قوله تعالى: ﴿وَقُومُواْ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ﴾ [البقرة-٢٣٨]. قال في شرح التقريب: والقنوت يطلق بإزاء معان: قيل الطاعة، وقيل الدعاء، وبمعنى طول القيام، وبمعنى السكوت في الصلاة.

قال القاضي عياض: وأصله الدوام على الشيء.

قال ابن دقيق العيد: وإذا كان هذا أصله فَمُدِيْم الطاعةِ قانتٌ، وكذلك الداعي، والقائم في الصلاة، والمخلص فيها، والساكت فيها، كلهم فاعلون للقنوت، انتهى ملخصاً.

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: والعبادة اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة انتهى.

وقد تقدم ما يدل أن الله تعالى يرضى من عبده أن يسأله حاجته، وأمره بذلك، ووعده عليه بالإستجابة، فإذا كان الدعاء عبادةً فقد أمر الله عبادَه بعبادته وحدَه، كما قال تعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾ [الإسراء-٢٣] وقال: ﴿وَٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُواْ بِهِ شَيْـًٔا﴾ [النساء-٣٦] ﴿أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ﴾ [المؤمنون-٣٢].

و«الإله» هو الذي تألهه القلوب وتعبده بأي نوع كان من أنواع العبادة، وهو الذي فُسِّر به اسمه: الله.

قال أبو جعفر بن جرير رحمه الله: «الله» مشتقٌّ من «الإله»، سقطت الهمزة التي هي فاء الاسم، فالتقت اللام التي هي عين

الاسم، واللام الزائدة وهي ساكنة، فأدغمت في الأخرى، فصارتا في اللفظ لاماً واحدةً مشددة.

وأما تأويله: فإنه على ما روي لنا عن ابن عباس: هو الذي يَأْلهه كل شيء، ويعبده كل خلق وساق بسنده عن ابن عباس قال: الله ذو الألوهية والعبودية على خلقه أجمعين. انتهى.

وقال الزمخشري: «الله» أصله «الإلَه» فحذفت الهمزة، وعوض منها حرف التعريف، ولذلك قيل في النداء: يا ألله.

و«الإلَه» من أسماء الأجناس، كالرجل والفرس، اسم يقع على كل معبود بحق أو باطل، ثم غلب على المعبود بحق. انتهى.

وفي القاموس: أَله إلهةً وأُلوهة وأُلوهيّةً: عَبَدَ عبادة، ومنه لفظ الجلالة، وأصله «إله» كفعال بمعنى مألوه، فكل ما اتخذ معبوداً إلَهٌ عند متخِذِه، والتأله: التنسُّكُ والتعبد. والتأليه: التعبيد. انتهى.

فتبين مما تقرر أن من دعا ميتاً أو غائباً فقد اتخذه معبوداً بدعائه، ورغبته إليه، ورجائه له، وإقباله عليه، دون من له الأمر كله والقدرة التامة، والمشيئة النافذة، والعلم بما كان وما يكون، وما لم يكن كيف يكون لو كان، ﴿**فَسُبْحَـٰنَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ**﴾ [يسٓ-٨٣].

فصل

قال العراقي: (نعم، صرح فقهاء الحنابلة بكراهة طلب الحاجات من الأموات كراهة تنزيه على وجه مخصوص. وهو طلبها بالكتابة ودس الورق في أنقاب القبر. قال: وقد ذكر ذلك ابن مفلح في «الفروع» وفَسَّرها بما ذكرته، ونَصُّ عبارتِه عن الفنون، قال ــ يعني ابن عقيل ــ: ويكره استعمال النِّيران، والتبخير بالعود، والأبنية الشاهقة القباب، سَمَّوا ذلك مشهداً، واستشفوا بالتربة من الأسقام، وكتبوا إلى التربة الرقاعَ، ودسوها في الأنقاب، فهذا يقول: جِمالي قد جَرِبَت. وهذا يقول: أرضي قد أَجْدَبت، كأنهم يخاطبون حياً، ويدعون إلهاً. انتهى.

قال العراقي: فانظر إلى حكمه في هذه الأشياء بالكراهة التنزيهية، مع قوله[1]: كأنهم يخاطبون حياً، ويدعون إلهاً).

أقول : سبحان مقلب القلوب. فها هنا تسكب العبرات، انظر إلى تلبيس هذا الضال، واجتهاده في الدعوة إلى الشرك بالواحد المتعال، ولنذكر كلامَ ابنِ عقيلٍ في «الفنون» على وجهه الذي نقله

---

(١) في الطبعة الثانية: (قولهم).

عنه صاحب الفروع، قال في الفروع:

وفي الفنون: «لا تُخَلَّقُ القبور بالخَلُوق، والتزويق، والتقبيل لها، والطواف[١] بها، والتوسل بهم إلى الله» قال: «ولا يكفيهم ذلك حتى يقولوا: بالسر الذي بينك وبين الله وأي شيء[٢] يسمى سراً بينه وبين خلقه قال: ويكره استعمال النِّيران.. إلى آخر ما نقله العراقي.

فانظر كيف ترك أول الكلام لمصادمته لغرضه، وسقوطه على علته ومرضه، وانظر إلى كلام ابن عقيل، وتصريحه بالنهي عن التوسل، إلى آخر كلامه، يتبين لك أن الله قد أضل هذا[٣] وأعماه، وأقماه[٤] في هُوَّةِ هواه، وليس هذا بأول قارورة كسرت في الإسلام منه، ومن أمثاله .

ولابن عقيل رحمه الله كلام أصرح من هذا الذي ذكره صاحب الفروع عنه قال أبو الوفاء ابن عقيل:

لما صعبت التكاليف على الجهال والطَّغام، عدلوا عن أوضاع الشرع إلى أوضاع وضعوها لأنفسهم، فسهلت عليهم، إذ لم يدخلوا بها تحت أمر غيرهم. **قال**: وهم عندي كفار بهذه الأوضاع: مثل تعظيم القبور، وإكرامها بما نهى عنه الشرع، وإيقاد[٥] السرج،

---

(١) في الطبعة الثانية: (الطوف).

(٢) في طبعة نصيف: (وأي شيء من الله يسمى..).

(٣) في الطبعة الثانية: (أو).

(٤) أي أذلّه أو قمعه. انظر مادّة «قمأ» في القاموس.

(٥) في طبعة نصيف: (من إيقاد).

وتقبيلها، وتخليقها، وخطاب الموتى بالحوائج، وكَتْب الرِّقاع فيها: يامولاي افعل بي كذا وكذا، وأخذ تربتها تبركاً، وإفاضة الطيب على القبور، وشد الرحال إليها، وإلقاء الخِرَق على الشجر اقتداء بمن عبد اللَّات والعُزَّى، والويل عندهم لمن لم يُقَبِّلْ مَشْهَد الكف، ولم يتمسَّحْ بالآجرِّ يوم الاربعاء، ولم يقل الحمالون على جنازته: أبو بكر الصديق، أو محمد، أو علي، أو لم يعقد على قبر أبيه أزجاً بالجص والآجر، ولم يخرق ثيابه إلى الذيل، ولم يُرِقْ ماء الورد على القبر، انتهى كلامه.

فانظر إلى تصريحه بكفر فاعل هذه الأمور. وهَذا الملبس يقول: إنه مكروه عنده كراهةَ تنزيه إذا كان طلب الحوائج من الأموات بالكتابة ونحوها، فأما طلب الحوائج من الأموات باللسان فمستحب عنده، فسبحان من مسخ عقله، وأظهر تلبيسه وجهله.

ويشبه هذا ما حكي أن رجلًا اجتمع بامرأة ليزنىَ بها، فلما جامعها قال لها: أُستري وجهك، فإن النظر إلى وجه الأجنبية حرام.

قوله: (صرح فقهاء الحنابلة بكراهة طلب الحاجات من الأموات والغائبين، إلى آخره).

جوابه أن يقال: بل صرح فقهاء الحنابلة وغيرهم بإنكاره والنهي عنه، وأن ذلك هو الشرك الأكبر، وأنه كفعل عابدي الأصنام كما دل على ذلك الكتاب والسنة، وأجمع عليه سلف الأمة وأئمتها.

ونحن نذكر من كلامهم قليلًا من كثير، وغيضاً من فيض، وقد تقدم بعض ذلك من كلام الله وكلام رسوله، ولابد من ذكر ما تيسر من كلام العلماء.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى: «من جعل بينه وبين الله وسائط يدعوهم، ويتوكل عليهم، ويسألهم كفر إجماعاً» نقل عنه ذلك أئمةُ الحنابلة: كصاحب الفروع، وصاحب الإنصاف، وصاحبِ الإقناع.

وقال الإمام أبو العباس ابن تيمية رحمه الله تعالى في رسالته السنية لما تكلم على حديث الخوارج: «فإذا كان في زمن النبي ﷺ وخلفائه ممن انتسب إلى الإسلام من قد مرق من الدين مع عبادته العظيمة، فليعلم أن المنتسب إلى الإسلام في هذا الزمان قد يمرق أيضاً، وذلك بأمور، منها:

الغلو الذي ذمه الله، كالغلو في بعض المشائخ كالشيخ عدي، بل الغلو في علي بن أبي طالب، بل الغلو في المسيح.

فكل من غلا في نبيٍّ، أو رجل صالح، وجعل فيه نوعاً من الإلهية، مثل أن يدعوه من دون الله، بأن يقول: ياسيدي فلان أغثني، وأنا في حسبك، فكل هذا شرك وضلال، يستتاب صاحبه، فإن تاب وإلا قتل.

فإن الله أرسل الرسل، وأنزل الكتب ليعبد وحده، ولا يُجْعل معه إله آخر، والذين يجعلون مع الله آلهة أخرى، مثل الملائكة والمسيح وعزير، والصالحين أو قبورهم، لم يكونوا يعتقدون أنها تخلق أو ترزق، وإنما كانوا يدعونهم، يقولون: هؤلاء شفعاؤنا عند الله، فبعث الله الرسل تنهى أن يُدْعَى أحدٌ من دونه، لا دعاء عبادة، ولا دعاء استغاثة[1] انتهى.

---

(١) انظر الوصية الكبرى لشيخ الإسلام ابن تيمية.

وقال ابن القيم رحمه الله: ومن أنواعه ــ أي الشرك[1] ــ طلب الحوائج من الموتى، والإستغاثة بهم، وهذا أصل شرك العالم، فإن الميت قد انقطع عمله وهو لا يملك لنفسه نفعاً ولا ضراً، فضلًا عمّن استغاث به، وسأله أن يشفع له، وهذا من جهله بالشافع والمشفوع عنده، فإنه لايقدر أن يشفع له عند الله إلا بإذنه.

قال بعض المحققين: فلو جاز طلب الشفاعة من الميت والغائب لما صار لنفي الشفاعة في القرآن معنى كقوله تعالى: ﴿مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَاعَةٌ﴾ [البقرة–٢٥٤] ﴿لَيْسَ لَهُم مِّن دُونِهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ﴾ [الأنعام–٥١] ﴿وَٱتَّقُواْ يَوْماً لَّا تَجْزِي نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْئاً وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا تَنفَعُهَا شَفَاعَةٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾ [البقرة–١٢٣] فلا يظهر الفرق بين الشفاعة المنفية في هذه الآيات ونحوها، والمثبتة كما في قوله تعالى: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِي يَشْفَعُ عِندَهُۥ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾ [البقرة–٢٥٥] ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ﴾ [الأنبياء–٢٨] ﴿يَوْمَئِذٍ لَّا تَنفَعُ ٱلشَّفَاعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَـٰنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلًا﴾ [طه–١٠٩] فلا يظهر الفرق إلا أن المنفية هي التي تطلب من غير الله، ويرغب فيها إلى غيره، والمثبتة هي التي لا تطلب إلا من الله وحده، وهو الإخلاص الذي لا يرضى من العبد سواه، كما تقرر في كلام العلماء.

قال ابن القيم: والله تعالى لم يجعل استغاثته بغيره، وسؤاله لغيره

---

(١) في طبعة نصيف: (ومن أنواع الشرك).

سبباً للإذن في الشفاعة، وإنما السبب كمال التوحيد، فجاء هذا المشرك بسبب يمنع الإذن، وهو بمنزلة من استعان في حاجة بما يمنع حصولها، وهذه حالة كل مشرك، فجمعوا بين الشرك بالمعبود، وتغيير دينه، ومعادات[1] أهل التوحيد، ونسبة أهله إلى التنقص بالأموات، وهم قد تنقصوا الخالق بالشرك، وأولياءه الموحدين له بذمهم وعيبهم ومعاداتهم، وتنقصوا من أشركوا به غاية التنقص، وظنوا أنهم راضون منهم بهذا، وأنهم يوالونهم عليه، وهؤلاء أعداء الرسل في كل زمان ومكان، وما أكثر المستجيبين لهم.

وما نجا من شَرَكِ هذا الشرك الأكبر إلا من جرد توحيده لله، وعادى المشركين في الله، وتقرب بمقتهم إلى الله، واتخذ الله وحده وليَّه ومعبوده، فجرَّدَ حبَّه لله، وخوفَه لله، ورجاءه لله، وذلَّه لله، وتوكله على الله، واستعانته بالله، والتجاءه إلى الله، واستغاثته بالله، وأخلص قصده لله، متبعاً لأمره، متطلباً لمرضاته، إذا سأل سأل الله، وإذا استعان استعان بالله، وإذا عمل عمل لله، فهو لله، وبالله، ومع الله، انتهى كلامه.

وقال الشيخ صنع الله الحلبي الحنفي في كتابه في الرد على من ادعى أن للأولياء تصرفاً في الحياة وبعد الممات على سبيل الكرامة[2]:

---

(١) في طبعة نصيف: (معاداة).

(٢) اسم الكتاب: (سيفُ الله على من كَذَب على أولياء الله) مازال مخطوطاً وعندي منه نسخة مصورة.

هذا وإنه قد ظهر الان فيما بين المسلمين جماعات يدّعون آن للأولياء تصرفاتٍ في حياتهم[1] وبعد مماتهم، ويستغاث بهم في الشدائد والبليات، وبهمتهم[2] تكشف المهمات، فيأتون قبورهم، وينادونهم في قضاء الحاجات، مستدلين على أن ذلك منهم كرامات.. وقالوا: فيهم أبدال ونقباء، وأوتاد ونجباء، وسبعون وسبعة، وأربعون وأربعة، والقطب هو الغوث للناس، وعليه المدار بلا التباس، وجوَّزُوا لهم الذبائح والنذور، وأثبتوا لهم فيهما الأجور. **قال:** وهذا كلام فيه تفريط وإفراط، بل فيه الهلاك الأبدي، والعذاب السرمدي، لما فيه من روائح الشرك المحقق، ومصادرة الكتاب العزيز المصدَّق، ومخالف لعقائد الأئمة، وما اجتمعت عليه الأمة، وفي التنزيل: **﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَآءَتْ مَصِيراً﴾** [النساء–١١٥].

ثم قال:

فأما قولهم: إن للأولياء تصرفاً في حياتهم وبعد الممات، فيرده قوله تعالى: **﴿أَءِلَـٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ﴾** [النمل–٦٠] **﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ﴾** [الأعراف–٥٤] **﴿لِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَـٰوَاتِ وَٱلْأَرْضِ﴾** [المائدة–١٢٠] ونحوه من الآيات الدالات على أنه المنفرد بالخلق

---

(١) في طبعة نصيف: (تصرفات بحياتهم) وفي الطبعة الثانية: (تصرفاً بحياتهم) والمثبت من النسخة الخطية لكتاب الشيخ صنع الله الحنفي.

(٢) في النسخة الخطية من كتاب الشيخ صنع الله (وبهممهم).

والتدبير، والتصرف والتقدير، ولا شركة[1] لغيره في شيء بوجه من الوجوه، فالكل تحت ملكه وقهره: تصرفاً وملكاً، وإحياءً وإماتة، وخلقاً.... وتمدح الرب تعالى بملكه في آيات من كتابه كقوله: ﴿**هَلْ مَنْ خَالِقٍ غَيْرُ ٱللَّهِ**﴾ [فاطر-٣] ﴿**وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ**﴾ [فاطر-١٣] ـــ وذكر آيات في هذا المعنى ـــ ثم قال:

فقوله في الآيات كلها ﴿**مِن دُونِهِۦ**﴾ أي من غيره، فإنه عام يدخل فيه من اعتقدته من ولي وشيطانٍ تستمده، فإن من لم يقدر على نصر نفسه فكيف يمد[2] غيره، إن هذا القول وخيم، وشرك عظيم. إلى أن قال:

وأما القول بالتصرف بعد الممات فهو أشنع وأبدع من القول في التصرف في الحياة، قال جل ذكره: ﴿**إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ**﴾ [الزمر-٣٠] وقال تعالى: ﴿**ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَٱلَّتِى لَمْ تَمُتْ فِى مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ ٱلَّتِى قَضَىٰ عَلَيْهَا ٱلْمَوْتَ**﴾ [الزمر-٤٢] الآية ﴿**كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ**﴾ [آل عمران-١٨٥] ﴿**كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ**﴾ [المدثر-٣٨] وفي الحديث: «**إذا مات ابن آدم انقطع عمله**» الحديث[3].

---

(١) في المطبوعتين (شيء) والمثبت من كتاب (سيف الله).

(٢) سقطت (يمد) من المطبوعتين. وأضفتها من كتاب (سيف الله).

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه ـــ كتاب الوصية ـــ ٣/١٢٥٥ عن أبي هريرة رضي الله عنه.

فجميع ذلك وما هو نحوه دَالٌّ على انقطاع الحس والحركة من الميت، وأن أرواحهم ممسكةٌ، وأن أعمالهم منقطعةٌ عن زيادةٍ ونقصان فدل ذلك على أن ليس للميت تصرف في ذاته فضلاً عن غيره.. فإذا عجز عن حركة نفسه فكيف يتصرف في غيره، فالله سبحانه يخبر أن الأرواح عنده، وهؤلاء الملحدون يقولون: إن الأرواح مطلقة متصرفة ﴿**قل أأنتم أعلم أم الله**﴾.

قال: وأما اعتقادهم أن هذه التصرفات لهم من المكرمات فهو من المغالطة، لأن الكرامة شيء من عند الله يكرم بها أولياءه، لاقصد لهم فيه، ولا تحدي، ولا علم، كما في قصة مريم ابنة عمران، وأسيد بن حضير، وأبي مسلم الخولاني.

قال وأما قولهم: «فيستغاث بهم في الشدائد...» فهذا أقبح مما قبله، وأبدع لمصادرته قوله: ﴿**أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ**﴾ [النمل-٦٢] ﴿**قُلْ مَن يُنَجِّيكُم مِّن ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ**﴾ [الأنعام-٦٣] وذكر آياتٍ في هذا المعنى. **ثم قال:**

فإنه جلَّ ذكره قرر أنه الكاشف للضر لا غيره، وأنه القادر على إيصال الخير، فهو المنفرد بذلك، فإذا تعين هو جلَّ ذكره خرج غيره من ملك ونبي وولي. **قال:**

والإستغاثة تجوز في الأسباب الظاهرة العادية من الأمور الحسية في قتال أو إدراك عدو، أو سبع، ونحوه، كقولهم: يالزيد، ياللمسلمين، بحسب الأفعال الظاهرة بالفعل، وأما الإستغاثة

بالقوة والتأثير، أو في الأمور المعنوية من الشدائد كالمرض، وخوف الغرق، والضيق، والفقر، وطلب الرزق، ونحوه فمن خصائص الله لا يطلب فيها غيره. **قال:**

وأما كونهم معتقدين التأثير منهم في قضاء حاجاتهم، كما تفعله جاهلية العرب، والصوفية الجهال، وينادونهم، ويستنجدون بهم، فهذا من المنكرات... فمن اعتقد أن لغير الله من نبي أو ولي أو روح أو غير ذلك في كشف كربة، أو قضاء حاجة تأثيراً[1] فقد وقع في وادي جهلٍ خطيرٍ، فهو على شفا حفرة من السعير.

وأما كونهم مستدلين على أن ذلك منهم كرامات، فحاشا لله أن تكون أولياء الله بهذه المثابة، فهذا ظن أهل الأوثان، كما[2] أخبر الرحمن ﴿**هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ**﴾ [يونس–١٨] ﴿**مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ**﴾ [الزمر–٣] ﴿**ءَأَتَّخِذُ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً إِن يُرِدْنِ ٱلرَّحْمَٰنُ بِضُرٍّ لَّا تُغْنِ عَنِّى شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا وَلَا يُنقِذُونِ**﴾ [يسٓ–٢٣] فإن ذِكْرَ ما ليس من شأنه النفع ولا دفع الضر من نبي وولي وغيره على وجه الإمداد منه: إشراك مع الله، إذ لا قادر على الدفع غيره، ولا خير إلا خيره.

قال: وأما ما قالوه: «إن منهم أبدالًا ونقباء، وأوتاداً ونجباء، وسبعين وسبعة، وأربعين وأربعة، والقطب هو الغوث للناس» فهذا من موضوعات إفكهم، كما ذكره القاضي المحدث ابن العربي[3] في

---

(١) في المطبوعتين ومخطوطة كتاب «سيف الله»: تأثير.

(٢) في المطبوعتين: (كذا) والمثبت من مخطوطة «سيف الله».

(٣) سقطت: «ابن العربي» من المطبوعتين.

«سراج المريدين» وابن الجوزي، وابن تيمية. انتهى باختصار.

وقال ابن عطية في قوله تعالى: ﴿**وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ**﴾ الآيات [يونس-١٠٦]: معناه قيل لي ولا تدع، فهو عطف على (أقم) وهذا الأمر والمخاطبة للنبي ﷺ، إذا كان هكذا فأحرى أن يتخذ من ذلك غيره، والخطاب خرج مخرج الخصوص، وهو عام للأمة.

وقال الإمام أبو جعفر بن جرير في هذه الآية: يقول تعالى ذكره: ولا تدع يامحمد من دون معبودك وخالقك شيئاً لا ينفعك في الدنيا ولا في الآخرة، ولا يضرك في دين ولا دنيا. يعني بذلك الآلهة، يقول: تعبدها راجياً نفعها أو خائفاً ضرها، فإنها لا تنفع ولا تضر، فإن فعلت ذلك فدعوتها من دون الله فإنك إذاً من الظالمين، يقول: من المشركين بالله، انتهى.

وهذه الآية لها نظائر كقوله: ﴿**فَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَـٰهاً ءَاخَرَ فَتَكُونَ مِنَ ٱلْمُعَذَّبِينَ**﴾ [الشعراء-٢١٣] وقوله: ﴿**وَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَـٰهاً ءَاخَرَ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ**﴾ [القصص-٨٨] ففي هذه الآيات بيان أن كل مدعو يكون إلها، والإلهية حق لله، لا يصلح منها شيءٌ لغيره، ولهذا قال: «لا إله إلا هو» كما قال تعالى: ﴿**ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ ٱلْبَـٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْكَبِيرُ**﴾ [لقمان-٣٠].

وقال الشيخ قاسم **الحنفي** في «شرح درر البحار»: النذر الذي يَنْذُره أكثر العوامِّ على ما هو مشاهد، كأن يكون لإنسانٍ

غائب، أو مريض، أو له حاجة، فيأتي إلى بعض الصُّلَحاء ويجعل على رأسه سترة ويقول: ياسيدي فلان إنْ رَدَّ الله غائبي، أو عُوفي مرضي، أو قضيت حاجتي فلك من الذهب كذا، أو من الفضة أو من الطعام كذا، أو من المال كذا، أو من الشمع والزيت كذا، فهذا النذر باطل بالإجماع لوجوه:

منها: أنه نذر لمخلوق، والنذر للمخلوق لا يجوز، لأنه عبادة، والعبادة لا تكون لمخلوق.

ومنها: أن المنذور له ميت، والميت لا يملك.

ومنها: أنه ظن أن الميت يتصرف في الأمور دون الله، واعتقاد ذلك كفر، **إلى أن قال**:

إذا علمت هذا فما يؤخذ من الدراهم والشمع والزيت وغيرها، وينقل إلى ضرائح الأولياء تقرباً إليهم فحرام بإجماع المسلمين، نقله عنه[1] ابن نجيم في البحر الرائق، ونقله المرشدي في تذكرته وغيرهما عنه، وزاد: «وقد ابتلى الناس بهذا، لاسيما في مولد البدوي» انتهى.

وقال العلامة أحمد الرومي **الحنفي** في كتابه المسمى «مجالس الأبرار» بعد كلام سبق في الكلام على زيارة القبور:

فإذا كان كذلك فاللائق بالزائر أن يتَّبع السنة، ويقف عند ما شُرع له، ولا يتعداه، ليكون الزائر محسناً إلى نفسه، وإلى أهل القبور، لأن زيارة القبور نوعان: **زيارة شرعية، وزيارة بدعية**.

(١) في المطبوعتين: (عن).

أما الزيارة الشرعية التي أذن فيها رسول الله ﷺ فالمقصود منها شيئان :

أحدهما: راجع إلى الزائر، وهو الإتعاظ والإعتبار.

والثاني : راجع إلى أهل القبور وهو أن يسلم الزائر عليهم، ويدعو لهم.

وأما الزيارة البدعية فهي زيارة القبور لأجل الصلاة عندها، والطواف بها، وتقبيلها، واستلامها، وتعفير الخدود عليها، وأخذ ترابها، ودعاء أصحابها، والإستغاثة بهم، وسؤالهم النصر والرزق والعافية، والولد، وقضاء الدَّين وتفريج الكربات، وإغاثة اللهفات، وغير ذلك من الحاجات التي كان عباد الأصنام يسألونها من أصنامهم، **فإن أصل هذه الزيارة البدعية الشركية مأخوذ منهم**، وليس شيءٌ من ذلك مشروعاً باتفاق المسلمين، إذ لم يفعله رسول ربِّ العالمين، ولا أحد من الصحابة والتابعين، وسائر أئمة الدين، بل قد أنكر الصحابة ما هو دون ذلك بكثير، **كما روي عن المعرور بن سويد** أن عمر صلى صلاة الصبح في طريق مكة ثم رأى الناس يذهبون مذاهب فقال: أين يذهب هؤلاء؟ فقيل: مسجد صلى فيه رسول الله ﷺ يصلون فيه، فقال: إنما هلك من كان قبلكم بمثل هذا، كانوا يتبعون آثار أنبيائهم، ويتخذونها كنائس وبيعاً، فمن أدركته الصلاة في هذه المساجد فليصلها فيها، ومن لا فليمض ولا يتعمدها[1].

---

(١) أخرجه سعيد بن منصور في سننه ــ كما في الإقتضاء لشيخ الإسلام ص٧٤٤ ــ =

وكذلك لما بلغه أن الناس ينتابون الشجرة التي بويع تحتها النبي عليه الصلاة والسلام أرسل إليها فقطعها.

فإذا كان عمر فعل هذا بالشجرة التي بايع الصحابة تحتها رسول الله ﷺ، وذكرها الله تعالى في القرآن حيث قال: ﴿**لَّقَدْ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ**﴾ [الفتح–١٨] فماذا يكون حكمه فيما عداها!

ولقد جرد السلف الصالح التوحيد، وحموا جانبه، حتى كانت الصحابة والتابعون حيث كانت الحجرة النبوية منفصلةً عن المسجد ــ إلى زمن الوليد بن عبدالملك ــ لا يدخل فيها أحد لا لصلاة، ولا لدعاء، ولا لشيء آخر مما هو من جنس العبادة، بل كانوا يفعلون جميع ذلك في المسجد.

وكان أحدهم إذا سلم على النبي عليه السلام وأراد الدعاء استقبل القبلة، وجعل ظهره إلى جدار القبر ثم دعا وهذا مما لا نزاع فيه بين العلماء، وإنما نزاعهم في وقت السلام عليه.

= حدثنا أبو معاوية، حدثنا الأعمش عن معرور بن سويد عن عمر. قال: خرجنا معه في حجة حجها فقرأ بنا في الفجر بـ ﴿**ألم تر كيف فعل ربك بأصحاب الفيل**﴾ و﴿**لئيلاف قريش**﴾ فلما رجع من حجته رأى الناس ابتدروا المساجد، فقال: ما هذا؟ قالوا: مسجد صلى فيه رسول الله. فقال: هكذا أهل الكتاب قبلكم: اتخذوا آثار أنبيائهم بيعاً، من عرضت له منكم فيه الصلاة فليصل، ومن لم تعرض له الصلاة فليمض.

وأخرجه عبدالرزاق في مصنفه (١/١١٨، ١١٩) وغيره. وقال الحافظ ابن حجر في الفتح ١/٥٦٩: يثبت ــ أي عن عمر ــ اهـ.

قال أبو حنيفة: يستقبل القبلة عند السلام أيضاً ولا يستقبل القبر. **وقال غيره:** لا يستقبل القبر عند الدعاء، بل قالوا إنه يستقبل القبلة وقت الدعاء ولا يستقبل القبر، حتى لا يكون الدعاءُ عند القبر، فإن الدعاء عبادة كما ثبت بالحديث المرفوع «**إن الدعاء هو العبادة**».

والسّلف الصالح من الصحابة والتابعين جعلوا العبادة خالصة لله تعالى، ولم يفعلوا عند القبور شيئاً منها، إلا ما أذن فيه النبي عليه الصلاة والسلام من السلام على أصحابها، وسؤالِ الرَّحمةِ والمغفرة والعافية من الله لهم.

وسبب ذلك أن الميت قد انقطع عمله، وهو يحتاج إلى من يدعو له، ويشفع لأجله، ولهذا شرع في الصلاة عليه وجوباً أو ندباً ما لم يُشْرع مثله في الدعاء للحي، فإنا لما كنا إذا قمنا إلى جنازته ندعو له، ونشفع لأجله[١]، فبعد الدفن أولى أن ندعو له ونشفع، لأنه في قبره بعد الدفن أشدّ احتياجاً إلى الدعاء منه على نعشه، لأنه حينئذ معرَّض للسؤال وغيره، على ما روي عن عثمان بن عفان أنه عليه الصلاة والسلام كان إذا فرغ من دفن الميت وقف عليه وقال: «**استغفروا لأخيكم، واسألوا له التثبيت فإنه الآن يسأل**»[٢] وروي عن سفيان الثوري أنه قال: «إذا سئل الميت من ربك يتراءى

---

(١) في طبعة نصيف: «له».

(٢) أخرجه أبو داود ــ كتاب الجنائز ــ من سننه ٣/٥٥٠، وصححه الحاكم في المستدرك وأقرّه الذهبي ١/٣٧٠. وجود إسناده النووي في المجموع.

له الشيطان في صورة، ويشير إلى نفسه ــ أي ــ أنا ربك» قال الترمذي هذا فتنة عظيمة. وكانوا يستحبون إذا وضع الميت في اللحد أن يقال: اللهم أعذه من الشيطان الرجيم.

فهذه سنة رسول الله ﷺ في أهل القبور بضعاً وعشرين سنة. وهذه سنة الخلفاء الراشدين، وطريقة جميع الصحابة والتابعين، **فبدَّل أهل البدع والضلال قولًا غير الذي قيل لهم،** فإنهم قصدوا بالزيارة التي شرعها رسول الله ﷺ إحساناً إلى الميت وإلى الزائر سؤالَهم الميت والإستغاثة به، وليس هذا إلا الفتنة التي قال فيها عبدالله بن مسعود رضي الله عنه: «كيف إذا لبستكم فتنة يهرم فيها الكبير، وينشأ فيها الصغير، تجري على الناس يتخذونها سنة، إذا غُيِّرت قيل غيرت السنة.

قال: وقال ابن القيم في إغاثته:

هذا يدل على أن العمل إذا جرى على خلاف السنة فلا اعتبار ولاالتفات إليه، وقد جرى العمل على خلاف السنة منذ زمن طويل، فإذاً لابد أن تكون شديدَ التَّوقِّي من محدثات الأمور، وإن اتفق عليه الجمهور، فلا يغرنك إطباقهم على ما حَدَث بعد الصحابة بل ينبغي لك أن تكون حريصاً على التفتيش عن أحوالهم وأعمالهم، فإن أعلم الناس وأقربَهم إلى الله أشبهُهم بهم، وأعلمهم بطريقتهم، إذْ عنهم أُخذ الدين، وهم أصول في نقل الشريعة من صاحب الشرع، فلابد لك أن لا تكترث بمخالفتك لأهل عصرك في موافقتك لأهل عصر النبي عليه السلام، إذ قد جاء في الحديث «**إذا اختلف**

الناس فعليكم بالسواد الأعظم».

قال عبدالرحمن بن إسماعيل ـــ المعروف بأبي شامة ـــ: حيث جاء الأمر بلزوم الجماعة فالمراد به لزوم الحق وأتباعه، وإن كان المتمسك به قليلًا، والمخالف له كثيراً، إلا أن الحق ما كان عليه الجماعة الأولى وهم الصحابة، ولا عبرة بكثرة الباطل بعدهم.
وقد قال الفضيل بن عياض ما معناه: «إلزم طريق الهدى، ولا يضرك قلة السالكين، وإياك طرقَ الضلالةِ ولاتغتر بكثرة الهالكين» انتهى كلامه.

وقال العلامة الرومي أيضاً في المجلس السابع عشر في عدم جواز الصلاة عند القبور، والإستمداد من أهلها، واتخاذ السرج والشموع عليها: قال رسول الله ﷺ: «**لعنة الله على اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد**» هذا الحديث من صحاح المصابيح، وقال ﷺ: «**إن من كان قبلكم كانوا يتخذون القبور مساجد، فلا تتخذوا القبور مساجد، فإني أنهاكم عن ذلك**».

قال بعض المحققين: والصلاة في المواضع المتبرك[1] بها من مقابر الصالحين داخلة في هذا النهي، لاسيما إذا كان الباعث عليها تعظيمَ هؤلاء لما فيه[2] من الشرك، فإن مبتدأ عبادةِ الأصنام كان في قوم نوح النبيِّ عليه السلام، من جهة عكوفهم على القبور، كما أخبر

---

(١) في طبعة نصيف: (المتبركة من).

(٢) في طبعة نصيف: (في ذلك).

الله تعالى في كتابه بقوله: ﴿قَالَ نُوحٌ رَّبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِي وَٱتَّبَعُواْ مَن لَّمْ يَزِدْهُ مَالُهُ وَوَلَدُهُ إِلَّا خَسَاراً * وَمَكَرُواْ مَكْراً كُبَّاراً * وَقَالُواْ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعاً وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْراً﴾ [نوح-٢١].

قال ابن عباس وغيره من السلف: كان هؤلاء قوماً صالحين من[1] قوم نوح النبيِّ عليه السلام، فلما ماتوا عكف الناس على قبورهم، ثم صَوَّروا تماثيلهم، ثم طال عليهم الأمد فعبدوهم. وهذا هو مبتدأ عبادةِ الأصنام.

قال: وقال ابن القيم في إغاثته نقلًا عن شيخه: إن هذه العلة التي لأجلها نهى الشارع عن اتخاذ القبور مساجد هي التي أوقعت كثيراً من الناس: إما في الشرك الأكبر، أو فيما دونه من الشرك، فإن الشرك بقبر الرجل الذي يعتقد صلاحه أقرب إلى النفوس من الشرك بشجر أو حجر.

ولهذا تجد كثيراً من الناس عند القبور يتضرعون ويخشعون ويخضعون ويعبدون بقلوبهم عبادةً لا يفعلون مثلها في بيوت الله تعالى، ولا في وقت السَّحر، ويرجون من بركة الصلاة عندها، والدعاء لديها مالا يرجون في المساجد، فلحسم مادة هذه المفسدة نهى عليه السلام عن الصلاة في المقبرة مطلقاً، وإن لم يقصد المصلي بصلاته فيها بركةَ البقعةِ، كما نهى عن الصلاة وقتَ طلوعِ الشمسِ،

---

(١) في طبعة نصيف: (في).

ووقت غروبها، ووقت استوائها: لأنها أوقات يقصد المشركون الصلاةَ للشمس فيها، فنهى أُمته عن الصلاة فيها، وإن لم يقصدوا ما قصده المشركون.

وإذا قصد الرجل الصلاة عند المقبرة تبركاً بالصلاة في تلك البقعة فهذا عين المحادة لله ورسوله، والمخالفة لدينه، وابتداع دين لم يأذن به الله تعالى، فإن العباداتِ مبناها على الإستنان والإتباع، لا على الأهواء والإبتداع. فإن المسلمين أجمعوا على ما علموا من دين نبيهم أن الصلاة عند المقبرة منهي عنها. لأن فتنة الشرك بالصلاة فيها، ومشابهة عبادة الأصنام أعظمُ كثيراً من مفسدة الصلاة عند طلوع الشمس، وحين غروبها، وحين استوائها، فإن النبي عليه السلام لما نهى عن تلك المفسدة سداً لذريعة التشبه التي لا تكاد تخطر ببال المصلي، فكيف بهذه الذريعة التي كثيراً ما تدعو صاحبَها إلى الشرك بدعاء الموتى، وطلب الحوائج منهم، واعتقاد أن الصلاة عند قبورهم أفضل من الصلاة في المساجد، وغير ذلك مما هو محادة ظاهرة لله تعالى ولرسوله؟.

قال: وقال ابن القيم في إغاثته: من جمع بين سنة رسول الله ﷺ في القبور، وبين ما أمر به، ونهى عنه، وما كان عليه الصحابة والتابعون، وبين ما عليه أكثر الناس اليوم رأى أحدهما مضاداً للآخر، ومناقضاً له، بحيث لا يجتمعان أبداً. **إلى أن قال:**

وقد آل الأمر بهؤلاء الضالين المضلين إلى أن شرعوا للقبور حجاً، ووضعوا له مناسك، حتى صنف بعض غلاتهم في ذلك

كتاباً وسماه «مناسك حج المشاهد» تشبيهاً منه للقبور بالبيت الحرام، ولا يخفى أن هذا مفارقة لدين الإسلام، ودخولٌ في دين عبادة الأصنام.

فانظر إلى ما شرعه النبي عليه السلام في القبور من النهي، وبين ما شرعه هؤلاء وما قصدوه من التباين العظيم، ولاريب أن في ذلك من الفساد ما يعجز الإنسان عن حصره:

منها تعظيمها الموقعُ في الإفتتان بها.

ومنها تفضيلها على المساجد التي هي خير البقاع، وأحبها إلى الله، فإنهم إذا قصدوا القبور يقصدونها مع التعظيم، والإحترام، والخشوع، ورقة القلب، وغير ذلك مما لا يفعلونه في المساجد، ولا يحصل لهم فيها نظيره، ولا مثله.

ومنها اتخاذ المساجد والسرج عليها.

ومنها العكوف عندها، وتعليق الستور عليها، واتخاذ السدنة لها.

ومنها النذر لها، ولسدنتها.

ومنها زيارتها لأجل الصلاة عندها، والطواف بها، وتقبيلها، واستلامها، وتعفير الخدود عليها، وأخذ ترابها، ودعاء أصحابها، والإستغاثة بهم، وسؤالهم النصر، والرزق، والعافية، والولد، وقضاءَ الديون، وتفريج الكربات، وغير ذلك من الحاجات التي كان عباد الأوثان يسألونها من أوثانهم، وليس شيء منها مشروعاً باتفاق أئمة المسلمين، إذ لم يفعل منه شيئاً رسولُ ربِّ العالمين، ولا أحد من

الصحابة والتابعين، وسائر أئمة الدين.

ومن المحال أن يكون شيء منها مشروعاً، وعملًا صالحاً، ويصرف عنه القرون الثلاثة التي شهد فيهم النبي عليه السلام بالصدق والعدل، ويظفر به الخُلُوف الذين شهد فيهم النبي عليه السلام بالكذب والفسق، فمن شك في هذا فلينظر هل يمكن بشراً على وجه الأرض أن يأتي عن أحد منهم بنقل صحيح أو ضعيف أنهم كانوا إذا بدت لهم حاجة قصدوا القبور فدعوا عندها، وتمسحوا بها، فضلًا أن يصلوا عندها، أو يسألوا حوائجهم منها، كلا لا يمكنهم ذلك، بل إنما يمكنهم أن يأتوا بكثير من ذلك عن الخلوف التي خلفت من بعدهم، ثم كلما تأخر الزمان، وطال العهد، كان ذلك أكثر، حتى وجدت من ذلك عدة مصنفات ليس فيها عن النبي عليه السلام ولا عن خلفائه الراشدين ولا عن الصحابة والتابعين حرفٌ واحد، بل فيها من خلاف ذلك كثير من الأحاديث المرفوعة التي من جملتها قوله عليه السلام «**كنت نهيتكم عن زيارة القبور فمن أراد أن يزور فليزر ولا تقولوا هجراً**»[1] أي فحشاً، وأي فحش أعظم من الشرك عندها قولًا وفعلًا. **إلى أن قال:**

فإن غلاة متخذيها عيداً إذا رأوها من مكان بعيد ينزلون عن دوابهم، ويكشفون رؤوسهم، ويضعون جباههم على الأرض، ويقبلون

---

(١) أخرجه النسائي في سننه ٨٩/٤ عن بريدة.

وأخرجه مسلم في صحيحه ــ كتاب الجنائز ــ عن بريدة بلفظ أن النبي ﷺ قال: «نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها» ٦٧٢/٢.

الأرض، ثم إنهم إذا وصلوا إليها يصلون عندها ركعتين، ثم ينتشرون حول القبر طائفين به تشبيهاً بالبيت الحرام الذي جعله الله تعالى مباركاً وهدى للأنام، ثم يأخذون في التقبيل والإستلام، كما يفعل الحجاج في المسجد الحرام، ثم يعفرون جباههم وخدودهم، ثم يكملون مناسك حج القبر بالحلق والتقصير، ثم يقربون لذلك الوثن القرابين ، فلا يكون صلاتهم ، ونسكهم ، وقربانهم ، وما يراق هناك من العبرات، ويرفع من الأصوات، ويطلب منه من الحاجات، ويسأل من تفريج الكربات، وإغناء ذوي الفاقات، ومعافات أولي العاهات والبليات لله تعالى بل للشيطان، فإن الشيطان لبنى آدم عدو مبين، يصدهم بأنواع مكايده عن الطريق المستقيم.

ومن أعظم مكايده ما نصبه للناس من الأنصاب التي هي رجس من عمل الشيطان، وقد أمر الله المؤمنين باجتنابها، وعلق فلاحهم بذلك الإجتناب، فقال: ﴿**يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَٱجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ**﴾ [المائدة-٩٠] فالأنصاب جمع نُصُب بضمتين، أو جمع نَصْب بالفتح والسكون، وهو كل ما نصب وعبد من دون الله تعالى من شجر أو حجر أو قبر أو غير ذلك.

والواجب هدم ذلك كله، ومحو أثره، كما أن عمر لما بلغه أن الناس ينتابون الشجرة التي بويع تحتها النبي عليه السلام أرسل إليها فقطعها. ثم ذكر حديث أبي واقد الليثي قال: «خرجنا مع رسول

الله ﷺ إلى حنين ونحن حدثاء عهد بكفر[1]، وللمشركين سدرة يعكفون عندها، وينوطون بها أسلحتهم وأمتعتهم، يقال لها ذات أنواط. فمررنا بسدرة، فقلنا: يارسول الله اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط، فقال النبي ﷺ: «الله أكبر إنها السنن، قلتم والذي نفسي بيده كما قالت بنو أسرائيل لموسى: «إجعل لنا إلهاً كما لهم آلهة» لتركبن سنن من كان قبلكم».

فإذا كان اتخاذ مثل هذه الشجرة لتعليق الأسلحة والعكوف حولها إتخاذَ إلهٍ مع الله تعالى، مع أنهم لا يعبدونها، ولا يسألونها شيئاً، فما الظن بغيرها مما يقصده الناس من شجر أو حجر أو قبر، ويعظمونه، ويرجون منه الشفاء ويقولون: إن هذا الشجر وهذا الحجر وهذا القبر يقبل النذر الذي هو عبادة وقربة، ويتمسحون بذلك النُصُب، ويستلمونه.

وهذا الشيطان في كل حين وزمان ينصب لهم قبرَ رجلٍ معظم يعظمه الناس، ثم يجعله وثناً يعبد من دون الله تعالى، ثم يوحي إلى أوليائه أن من نهى عن عبادته وعن اتخاذه عيداً، وعن جعله وثناً فقد تنقصه، وهضم حقه، فيسعى الجاهلون في قتله وعقوبته، ويكفرونه، وما ذنبه إلا أنه أمر بما أمر به الله تعالى ورسوله، ونهى عما نهى الله تعالى ورسوله عنه.

والذي أوقع عباد القبور في الافتتان بها أمور:

منها الجهل بحقيقة ما بعث الله تعالى به رسوله، من تحقيق

---

(١) سقطت: (بكفر) من طبعة نصيف.

التوحيد، وقطع أسباب الشرك، فالذين قَلَّ نصيبهم من ذلك إذا دعاهم الشيطان إلى الفتنة بها، ولم يكن لهم ما يبطل دعوته استجابوا له بحسب ما عندهم من الجهل، وعُصِمُوا منه بقدر ما عندهم من العلم.

ومنها أحاديث مكذوبة وضعها على رسول الله ﷺ أشباهُ عبَّادِ الأصنام من المَقَابِرِيّة، وهي تناقض ما جاء به من دينه، كحديث «إذا تحيرتم في الأمور فاستعينوا من أهل القبور» وحديث «إذا أعيتكم الأمور فعليكم بأصحاب القبور» وحديث «لو أحسن أحدكم ظنَّه بحجر لنفعه» وأمثال هذه الأحاديث التي هي مناقضة لدين الإسلام، وضعها أشباه عباد الأصنام من المقابرية، وراجت على الجهال والضُّلال، والله تعالى إنما بعث رسولَه لقتال من حَسَّن ظَنَّه بالأحجار والأشجار، فإنه عليه السلام جَنَّب أُمتَّه من الفتنة بالقبور بكل طريق.

ومنها حكايات حكيت عن أهل تلك القبور، أن فلاناً استغاث بالقبر الفلاني في شدة فخلص منها، وفلاناً نزل به ضر فاستدعى صاحب ذلك القبر فكشف ضره، وفلاناً دعاه في حاجة فقضيت حاجته، وعند السدنة والمقابرية شيءٌ من ذلك يطول ذكره، وهم من أكذب خلق الله على الأحياءِ والأموات، والنفوس مولعة بقضاء حوائجها، وإزالة ضروراتها، لاسيما من كان مضطراً يتشبث بكل سبب وإن كان فيه كراهةٌ، فإذا سمع أحد أن قبرَ فلانٍ ترياق مجرب، يميل إليه، فيذهب ويدعو عنده بحرقة وذلة وانكسار، فيجيب

الله تعالى دعوتَه لما قام بقلبه[1] من الذلة والإنكسار، لا لأجل القبر، فإنه لو دعا كذلك في الجبانة والحمام والسوق لأجابه: فيظن الجاهل أن للقبر تأثيراً في إجابة تلك الدعوة، ولا يعلم أن الله تعالى يجيب دعوة المضطر ولو كان كافراً، فليس كل من أجاب الله دعاءه يكون راضياً عنه، ولا محباً له، ولا راضياً بفعله، فإنه يجيب دعاءَ البرِّ والفاجر، والمؤمن والكافر، يسَّر لنا الله تعالى من الدعاءِ والعمل ما يكون موافقاً لرضائه بلطفه وكرمه. انتهى كلام العلامة الرومي رحمه الله تعالى ببعض اختصار.

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى: والله تعالى لم يجعل أحداً من الأنبياء والمؤمنين واسطةً في شيءٍ من الربوبية والإلهية، مثل ما يتفرد به من الخلق والرزق، وإجابة الدعاءِ والنصر على الأعداء، وقضاءِ الحاجات، وتفريج الكربات، بل غاية ما يكون العبد سبباً، مثل أن يدعو ويشفع، والله تعالى قال: ﴿**مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِ**﴾ [البقرة–٢٥٥] وقال: ﴿**وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِى ٱلسَّمَـٰوَاتِ لَا تُغْنِى شَفَـٰعَتُهُمْ شَيْئاً إِلَّا مِن بَعْدِ أَن يَأْذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرْضَىٰٓ**﴾ [النجم–٢٦] وقال تعالى: ﴿**وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَن تَتَّخِذُواْ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةَ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ أَرْبَاباً أَيَأْمُرُكُم بِٱلْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ**﴾ [آل عمران–٨٠].

فبين سبحانه أن اتخاذ الملائكة والنبيين أرباباً كفرٌ، ولهذا كانوا

---

(١) في طبعة نصيف: (به).

في الشفاعة على ثلاثة أقسام:

فالمشركون أثبتوا الشفاعة التي هي شرك، كشفاعة المخلوق عند المخلوق، كما يشفع عند الملوك خواصهم لحاجة الملوك إلى ذلك، فيسألونهم بغير إذنهم، ويجيب الملوك سؤالهم لحاجتهم إليهم، فالذين أثبتوا مثل هذه الشفاعة عند الله مشركون كفار، لأن الله تعالى لا يشفع عنده أحد إلا بإذنه، ولا يحتاج إلى أحد من خلقه، بل من رحمته وإحسانه إجابة دعاء الشافعين، ولهذا قال: ﴿**مَالَكُم مِّن دُونِهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا شَفِيعٍ**﴾ [السجدة-٤] وقال: ﴿**أَمِ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ شُفَعَآءَ قُلْ أَوَلَوْ كَانُواْ لَا يَمْلِكُونَ شَيْئاً وَلَا يَعْقِلُونَ * قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعاً**﴾ [الزمر-٤٣] وقال عن صاحب يٓس: ﴿**ءَأَتَّخِذُ مِن دُونِهِ ءَالِهَةً إِن يُرِدْنِ ٱلرَّحْمَٰنُ بِضُرٍّ لَّا تُغْنِ عَنِّى شَفَٰعَتُهُمْ شَيْئاً وَلَا يُنقِذُونِ**﴾ [يٓس-٢٣].

وأما الخوارج والمعتزلة فإنهم أنكروا شفاعة نبينا ﷺ في أهل الكبائر من أمته، وهؤلاء مبتدعة ضلال، مخالفون للسنة المستفيضة عن النبي ﷺ، ولإجماع خير القرون.

القسم الثالث أهل السنة والجماعة، وهم سلف الأمة وأئمتها ومن تبعهم بإحسان، أثبتوا ما أثبته الله في كتابه، وسنة رسوله، ونفوا ما نفاه، فالشفاعة التي أثبتوها هي التي جاءت بها الأحاديث، وأما الشفاعة التي نفاها القرآن ــ كما عليه المشركون والنصارى ومن ضاهاهم من هذه الأمة ــ فينفيها أهل العلم والإيمان: مثل أنهم يطلبون من الأنبياءِ والصالحين الغائبين والميتين قضاء حوائجهم،

ويقولون: إنهم إن أرادوا ذلك قضوها ويقولون: إنهم عند الله كخواص الملوك عند الملوك يشفعون بغير إذن الملوك، ولهم على الملوك إدلال يقضون به حوائجهم، فيجعلونهم لله بمنزلة شركاء الملك، والله سبحانه قد نزه نفسه عن ذلك. انتهى.

ولو تتبعنا كلام العلماءِ المنكرين لهذه الأمور الشركية لطال المقام جداً، وفيما ذكرنا كفاية لطالب الهدى ﴿**وَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ فِتْنَتَهُ فَلَن تَمْلِكَ لَهُ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا**﴾ [المائدة-٤١] وبالله التوفيق.

فصل

واستدل العراقي بما روى الطبراني عن ابن مسعود عن النبي ﷺ فيمن انفلتت عليه دابته قال: «ياعباد الله احبسوا» وبحديث الأعمى.

والجواب أن يقال: سبحان الله! كيف يتعلق بهذا ونحوه المشركون، ويرومون به معارضة الحجج القاطعة من كلام من يقول للشيء كن فيكون، وكلام رسوله الصادق المأمون.

ونحن بحول الله وقوته نتكلم على الحديثين، ونبين معناهما، ونوضح منطوقهما وفحواهما، ونقطع شغب كلِّ مشرك وجداله، ونبين باطله ومحاله، فنقول وبالله التوفيق:

اعلم أن الله سبحانه بعث نبيه ﷺ بالدعوة إلى التوحيد، والنهيِّ عن الإشراك والتنديد، فحمى ﷺ حِمى التوحيد، وسدّ كل طريق يوصل إلى الشرك، حتى إن رجلًا قال له: «ما شاء الله وشئت» قال: «أجعلتني لله نداً، بل ما شاء الله وحده» فكيف يأمر بدعاءِ الميت والغائب؟.

بل من المعلوم بالضرورة من دين الإسلام أن دعاء الميت والغائب لم يأمر الله به ولا رسوله، ولا فعله أحد من الصحابة

والتابعين، ولا فعله أحد من أئمة المسلمين، ولا أحد من الصحابةِ **استغاثَ بالنبي ﷺ بعد موته، ولو كان هذا جائزاً أو مشروعاً لفعلوه، ولو كان خيراً لسبقونا إليه.**

وقد كان عندهم من قبور أصحاب رسول الله ﷺ بالأمصار عدد كثير، وهم متوافرون، فما منهم من استغاث عند قبر صاحب ولا دعاه، ولا استغاث به، ولا استنصر به، ومعلوم أن مثل هذا مما تتوفر الهمم والدواعي على نقله، بل على نقل ما هو دونه.

وحينئذ فلا يخلو إما أن يكون دعاء الموتى أو الغائبين أو الدعاء عند قبورهم والتوسل بأصحابها أفضل أولا. فإن كان أفضل فكيف يخفى علماً وعملًا على الصحابة والتابعين وتابعيهم؟ فتكون القرون الثلاثة الفاضلة جاهلةً **علماً** وعملًا بهذا الفضل العظيم، ويظفر به الخُلُوف علماً وعملًا.

وهذان الحديثان اللذان ذكرهما هذا العراقي إما أن يكون الصحابة الذين رووهما وسمعوهما من النبي ﷺ جاهلين بمعناهما، وعَلِمَه هؤلاءِ المتأخرون، وإما أن يكون الصحابة علموهما وزهدوا فيهما عملًا مع حرصهم على الخير وطاعتهم لنبيهم ﷺ، وكلاهما محال، بل هم أعلم الناس بكلام رسول الله ﷺ، وأطوع الناس لأوامره، وأحرص الناس على كل خير، وهم الذين نقلوا إلينا سنة نبينا ﷺ، فهل فهموا من هذين الحديثين جواز دعاءِ الموتى والغائبين، فضلًا عن استحبابه، والأمر به؟؟.

ومعلوم أنهم عرضت لهم شدائد واضطرارات، ومحن وفتن

وسنون مجدبات، أفلا جاؤا إلى قبر النبي ﷺ شاكين، وله مخاطبين بكشفها عنهم، وتفريج كرباتهم؟ والمضطر يتشبث بكل سبب يعلم أن له فيه نفعاً، لاسيما الدعاء، فلو كان ذلك وسيلة مشروعة وعملًا صالحاً لفعلوه.

فهذه سنة رسول الله ﷺ في أهل القبور حتى توفاه الله، وهذه سنة خلفائه الراشدين، وهذه طريقة جميع الصحابة والتابعين هل يمكن أحداً أن يأتي عنهم بنقل صحيح أو حسن أو ضعيف أنهم كانوا إذا كانت لهم حاجة أو عرضت لهم شدة قصدوا القبور فدعوا عندها، وتمسحوا بها، فضلًا عن أن يسألوها حوائجهم؟.

فمن كان عنده في هذا أثر أو حرف واحد فليوقفنا عليه، نعم لهم أن يأتوا عن الخلف الذين يقولون مالا يفعلون، ويفعلون مالا يؤمرون بكثير من المختلقات، والحكايات المكذوبات، حتى لقد **صُنِّف** في ذلك عدة مصنفاتٍ، ليس فيها حديث صحيح عن رسول الله ﷺ، وإنما فيها التمويهات والحكايات المخترعات، والأحاديث المكذوبات، كقولهم: «إذا أعيتكم الأمور فعليكم بأصحاب القبور» وحديث «لو أحسن أحدكم ظنه بحجر لنفعه».

وفيها حكايات لهم عن تلك القبور بأن فلاناً استغاث بالقبر الفلاني في شدة فخلص منها، وفلاناً دعاه أو دعا به في حاجة فقضيت، وفلاناً نزل به ضر فأتى صاحب ذلك القبر فكشف ضره، ونحو ذلك مما يعلم أنه مضاد لما بعث الله به نبيه ﷺ، ويعلم أنه حمى جانب التوحيد، وسد الذرائع الموصلة إلى الشرك، فكيف

يستدل بكلامه على نقيض ما أمر به!؟.

فأما حديث «إذا انفلتت دابة أحدكم» إلى آخره. فالجواب عنه من وجهين:

أحدهما: أنه لا يصح عن رسول الله ﷺ، فإنه من رواية معروف بن حسان، وهو منكر الحديث، قاله ابن عدي.

الوجه الثاني: أن يقال: على تقدير صحته، معناه: أن الإنسان إذا انفلتت دابته، وعجز عنها، فقد جعل الله عباداً من الملائكة، أو صالحي الجن، أو ممن لا يعلمه من جنده سواه ﴿**وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ**﴾ [المدثر-٣١] فإن هؤلاء عباد لله أحياء حاضرون، قد جعل الله لهم قدرة على ذلك كما جعل للإنس، فهذا كما إذا انفلتت دابة الإنسان فنادى أحد رفقته يافلان رد الدابة، فلا بأس بهذا.

ويدل على هذا ما رواه البزار من حديث ابن عباس[1] أن رسول الله ﷺ قال: «**إن لله ملائكةً في الأرض سوى الحفظة، يكتبون ما سقط من ورق، فإذا أصاب أحدكم شيء بأرض فلاة، فلينادِ: أعينوني**»، فأين هذا من الإستغاثة بأهل القبور لو كانوا يعقلون؟

وأما حديث الأعمى فنذكر بحول الله وقوته عنه من صواب الجواب، ما يتبين به الحق ويزول به الإرتياب، فنقول:

---

(١) في المطبوعتين: (من حديث ابن علي).

ذكر العلماءُ في معناه قولين: **أحدهما** أنه توسل بالنبي ﷺ، فيدل على جواز التوسل بالنبي ﷺ، إلا أن التوسل ليس فيه دعاءٌ له، ولا استغاثة به، وإنما يُسْأَل اللَّهُ بجاهه.

وهذا ذكره الفقيه أبو محمد ابن عبدالسلام، فإنه أفتى بأنه لا يجوز التوسل بغير النبي ﷺ، قال وأما التوسل بالنبي ﷺ فيجوز إن صح الحديث، يعني حدثَ الأعمى.

قال شيخ الإسلام تقي الدين ابن تيمية رحمه الله تعالى:

ومازلت أبحث وأكشف ما أمكنني من كلام السلف والأئمة والعلماء هل جَوَّز أحد منهم التوسل بالصالحين في الدعاء، أو فعل ذلك أحد منهم، فما وجدته، ثم وقفت على فتيا للفقيه أبي محمد بن عبدالسلام أفتى بأنه لا يجوز التوسل بغير النبي ﷺ، وأما بالنبي ﷺ فجوز التوسل به إن صح الحديث في ذلك.

وذكر القُدوري في شرح الكَرخي عن أبي حنيفة وأبي يوسف: لا يجوز أن يسأل الله إلا به. انتهى كلامه.

وذكر ابن القيم رحمه الله عن أبي الحسين القُدُوري نحوَ ذلك، فقال: قال القدوري: قال بشر بن الوليد: سمعت أبا يوسف قال: قال أبو حنيفة: لا ينبغي لأحد أن يدعو الله إلا به، وأكره أن يقول: بمعاقد العز من عرشك، وأن يقول: بحق فلان، وبحق أنبيائك ورسلك، وبحق البيت الحرام .

قال أبو الحسين: أما المسألة بغير الله فمنكرة، لأنه لا حق لغير الله عليه، وإنما الحق له على خلقه.

وأما قوله: بمعقد العز من عرشك. فكرهه أبو حنيفة، ورخص فيه أبو يوسف.

وقال ابن بلدجي في «شرح المختار»: ويكره أن يدعو الله إلا به، ولا يقول: أسألك بملائكتك، أو بأنبيائك، ونحو ذلك، لأنه لا حق للمخلوق على خالقه، أو[1] يقول في دعائه: أسألك بمعقد العز من عرشك، وعن أبي يوسف جوازه.

ومن قواعد الحنفية أن الكراهة حيث أطلقت فالمراد منها التحريم، وممن ذكر ذلك ابن نجيم في «البحر» حيث قال: وأفاد صحة إطلاق الحكم على المكروه تحريماً. وذكر العلامة ابن عابدين في «رد المحتار على الدر المختار» قال: وذكر محمد في المبسوط أن أبا يوسف قال لأبي حنيفة: إذا قُلْتَ في شيءٍ أكرهه، فما رأيك فيه؟ قال: **التحريم**.

وقال شيخ الإسلام رحمه الله تعالى في كتاب «اقتضاء الصراط المستقيم»: لفظ «التوسل» بالشخص والتوجه به فيه إجمال واشتراك غلط بسببه من لم يفهم مقصود الصحابة، يراد التسبب به، لكونه داعياً وشافعاً مثلًا، أو يكون الداعي محباً له مطيعاً لأمره، مقتدياً به، فيكون التسبب إما بمحبة السائل واتباعه له، وإما بدعاءِ الوسيلة وشفاعته. **ويراد به الإقسام به، والتوسل بذاته. فهذا هو الذي كرهوه ونهوا عنه.**

---

(١) في المطبوعتين: (ويقول في دعائه) وهو خطأ والمثبت من «الإغاثة» ص١١٤ ط الميمنية.

وكذلك لفظ «السؤال بالشيء» قد يراد به المعنى الأول، وهو التسبب به لكونه سبباً في حصول المطلوب. وقد يراد به الإقسام، ومن الأول حديث الثلاثة الذين آووا إلى غار، وهو حديث مشهور في الصحيحين وغيرهما، فإن الصخرة انطبقت عليهم فقالوا: ليدع كل رجل منكم بأفضل عمله، فدعوا الله بصالح أعمالهم، لأن الأعمال الصالحة هي أعظم ما يَتَوسَّل به العبد إلى الله، ويتوجه به إليه، ويسأله به، وهؤلاء دعوه بعبادته، وفعل ما أمر به من العمل الصالح والتضرع، وكذلك دعاءُ المرأة المهاجرة التي أحيا الله ابنها لما قالت: «اللهم إني آمنت بك وبرسولك وهاجرت في سبيلك» وسألت الله أن يحييَ ولدها، وأمثال ذلك. وهذا كما قال المؤمنون: **﴿رَّبَّنَآ إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِياً يُنَادِى لِلإِيمَـٰنِ أَنْ ءَامِنُواْ بِرَبِّكُمْ فَأَمَنَّآ رَبَّنَا فَٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا﴾** [آل عمران-١٩٣] الآيات، فسؤال الله والتوسل إليه بامتثال أوامره واجتناب نواهيه.

وأما قوله في حديث أبي سعيد: «أسألك بحق السائلين عليك وبحق ممشاي هذا» فهذا الحديث رواه عطية العوفي وفيه ضعف، لكن بتقدير ثبوته هو من هذا الباب، فإن حق السائلين عليه أن يجيبهم، وحق المطيعين له أن يثيبهم، فالسؤال له والطاعة سبب لحصول إجابته وإثابته، فهو من التوسل به، والتوجه به، والتسبب به. ولو قدر أنه قسم لكان قسماً بما هو من صفاته، فإن إجابته وإثابته من أفعاله وأقواله، فصار هذا كقوله في الحديث الصحيح: «أعوذ برضاك من سخطك، وبمعافاتك من عقوبتك،

وأعوذ بك منك لا أحصي ثناء عليك».

والإستعاذة لا تصح بمخلوق كما نص عليه الإمام أحمد وغيره من الأئمة، فاستعاذ ﷺ بعفوه ومعافاته من عقوبته، مع أنه لا يستعاذ بمخلوق، كسؤال الله بإجابته وإثابته، وإن كان لا يسأل بمخلوق.

ومن قال من العلماء لا يُسأل اللهُ إلا به لا ينافي السؤال بصفاته، كما أن الحلف لا يشرع إلا بالله، ومن حلف بغير الله فقد أشرك، ومع هذا فالحلف بعزة الله ولعمر الله ونحو ذلك مما ثبت عن النبي ﷺ الحلف به لم يدخل في الحلف بغير الله.

وأما قول بعض الناس: «أسألك بالله وبالرحم» وقراءة من قرأ (تساءلون به والأرحام) فهو من باب التسبب بها، فإن الرحم توجب الصلة، وتقتضي أن يصل الإنسان قرابته، فسؤال السائل بالرحم لغيره توسل إليه بما يوجب صلته من القرابة التي بينهما، ليس من باب الإقسام، ولا من باب التوسل بما لا يقتضي المطلوب، بل هو توسل بما يقتضي المطلوب كالتوسل بدعاء الأنبياء وطاعتهم. انتهى ملخصاً.

وقال شيخ الإسلام رحمه الله تعالى أيضاً: وأما استشفاع الناس بالنبي ﷺ يومَ القيامة فإنهم يطلبون منه أن يشفع لهم إلى الله، كما كانوا في الدنيا يطلبون منه أن يدعو لهم في الإستسقاء وغيره.

وقول عمر رضي الله عنه: «كنا إذا أجدبنا نتوسل إليك بنبينا فتسقينا، وإنا نتوسل إليك بعم نبينا» معناه: أنا نتوسل بدعائه

وشفاعته، ليس المراد به نقسم عليك به، أو ما يجري هذا المجرى مما يفعل بعد موته وفي مغيبه، كما يقول بعض الناس: «أسألك بجاه فلان عندك» ويقولون: «إنا نتوسل إلى الله بأنبيائه وأوليائه» ويروون حديثاً موضوعاً «إذا سألتم الله **فاسألوه** بجاهي، فإن جاهي عند الله عريض». فإنه لو كان هذا التوسل الذي كان الصحابة يفعلونه كما ذكر عمر رضي الله عنه لفعلوا ذلك بعد موته، ولم يعدلوا عنه إلى العباس، مع علمهم أن السؤال به والإقسام به أعظمُ من العباس.

فعلم أن التوسل الذي ذكروه هو مما يفعل بالأحياء دون الأموات، وهو التوسل بدعائهم وشفاعتهم، فإن الحيَّ يطلب منه ذلك، والميت لا يطلب منه شيءٌ لا دعاء ولا غيره.

وكذلك حديث الأعمى، فإنه طلب من النبي ﷺ أن يدعو له ليرد الله عليه بصره، فعلمه النبي ﷺ دعاءً أمره فيه أن يسأل الله قبولَ شفاعةِ نبيِّه فيه، فهذا يدل على أن النبي ﷺ شفع فيه، وأمره أن يسأل الله قبولَ شفاعتِه، وأن قوله «أسألك وأتوجه إليك بنبيك محمد نبي الرحمة» أي بدعائه وشفاعته، كما قال عمر: «كنا نتوسل إليك بنبينا» فلفظ التوجه **والتوسل** في الحديثين بمعنى واحد، ثم قال: «يامحمد إني أتوجه بك إلى ربي في حاجتي ليقضيها، اللهم فشفعه فيَّ» فطلب من الله أن يشفِّع فيه نبيه، وقوله: «يامحمد يانبي الله» هذا وأمثاله نداء يطلب به استحضار المنادى في القلب، فيخاطب المشهود بالقلب كما يقول المصلي: السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته، وإن لم يكن في الخارج من يسمع الخطاب.

واعلم رحمك الله أن العباداتِ مبناها على الأمر والإتباع، لا على الهوى والابتداع، والتوسل الذي جاءت به السنة والاحاديث الصحيحة هو التوسل والتوجه إلى الله بأسمائه وصفاته، وبالأعمال الصالحة كالأدعية الواردة في السنة نحو: «اللهم إني أسألك بأن لك الحمد، لا إله إلا أنت المنان، بديع السموات والأرض، ياذا الجلال والإكرام، ياحي ياقيوم» وفي الحديث الآخر: «اللهم إني أسألك بأني أشهد أن لاإله إلا أنت الأحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد» وكقوله في الحديث الآخر: «اللهم إني أسألك بكل اسم هو لك سميت به نفسك، أو أنزلته في كتابك، أو علمته أحداً من خلقك، أو استأثرت به في علم الغيب عندك» وكما حكاه الله سبحانه عن عباده المؤمنين أنهم توسلوا إليه بصالح أعمالهم، فقال تعالى حاكياً عنهم ﴿**رَّبَّنَآ إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِياً يُنَادِى لِلإِيمَـٰنِ أَنْ ءَامِنُواْ بِرَبِّكُمْ فَأَمَنَّا رَبَّنَا فَٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا**﴾ [آل عمران-١٩٣] الآية، وكذلك ما تقدم من قصة الثلاثة الذين آووا إلى الغار فانطبقت عليهم الصخرة، فتوسلوا إلى الله بصالح أعمالهم، وكالتوسل بدعاء الأنبياء والصالحين وشفاعتهم في حياتهم، كما كان الصحابة يتوسلون بالنبي ﷺ في الإستسقاء، وكذا توسلهم بالعباس، وبيزيد بن الأسود، وتوسل الأعمى بدعاء النبي ﷺ وشفاعته، فهذا من الأمور المشروعة ولا نزاع فيه.

وأما التوسل بالذوات فما الدليل على جوازه؟ ومن قال هذا من الصحابة والتابعين؟ وإذا وقع النزاع في مسألة وجب رد ذلك

إلى الله والرسول كما قال تعالى: ﴿فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ﴾ [النساء-٥٩] وقال تعالى ﴿وَمَا ٱخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِن شَيْءٍ فَحُكْمُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾ [الشورى-١٠] ومعلوم أن هذا لم يكن منقولًا عن النبي ﷺ، ولا عن أحد من السلف، ولا ريب أن الأنبياء والصالحين لهم الجاه عند الله، لكن الذي لهم عند الله من الجاه والمنازل والدرجات أمر يعود نفعه إليهم.

ونحن ننتفع من ذلك باتباعنا لهم، ومحبتنا، فإذا توسلنا إلى الله بإيماننا بنبيه ﷺ ومحبته وطاعتِه واتباعِ سنَّتِه كان هذا من أعظم الوسائل.

وأما التوسل بنفس ذاته مع عدم التوسل بالإيمان به وطاعته فلا يكون وسيلة، فالمتوسل بالمخلوق إذا لم يتوسل بدعائه أو بمحبته واتباعه فبأي شيء يتوسل؟؟ والإنسان إذا تَوَسَّل إلى غيره بوسيلة فإما أن يطلب من الوسيلة الشفاعة له عند ذلك، مثل أن يقول لأبي الرجل أو صديقه أو من يكرم عليه: اشفع لنا عند فلان. فهذا جائز، وإما أن يقسم عليه، ولايجوز الإقسام بمخلوق، كما أنه لا يجوز أن يقسم على الله بالمخلوقين.

ويزيد المقام وضوحاً ما قاله شيخ الإسلام رحمه الله تعالى بعد كلام سبق، قال:

لفظ التوسل والتوجه يراد به أن يتوسل إلى الله ويتوجه إليه بدعائهم وشفاعتهم، فهذا هو الذي جاء في ألفاظ الصحابة من

السلف رضوان الله عليهم، كما في صحيح البخاري أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه استسقى بالعباس وقال: «اللهم إنا كنا إذا أجدبنا توسلنا إليك بنبينا فتسقينا، وإنا نتوسل إليك بعم نبينا» فهذا إخبار من عمرَ رضي الله عنه عما كانوا يفعلونه، وتَوَسُّلٌ منهم بالعباس كما كانوا يتوسلون بالنبي ﷺ.

قال: وهذا هو الذي ذكره الفقهاء في كتاب الإستسقاء، قالوا: ويستحب أن يستسقى بالصالحين، وإن كانوا من أقارب رسول الله ﷺ فهو أفضل. انتهى.

وقد أزحتُ بحمد الله الإشكال، وأوضحت فيه الحال، وقد قرر جمع من العلماء ما قرره شيخ الإسلام في معنى حديث الأعمى، وبينوا أنه ليس فيه إلا طلب الدعاء من النبي ﷺ، وأنه لا دلالة فيه على التوسل بالذات، كالعلامة السويدي، وابنه، والشيخ نعمان بن العلامة محمود أفندي الآلوسي في رده على هذا العراقي، ونَقْلُ كلامهم يفضي إلى التطويل، وقد تقدم ما فيه كفاية لطالب الحق.

وقال السويدي رحمه الله في «شرح العقد الثمين» بعد كلام سبق:

وهذا التوسل الذي ذكر فيه الخلاف فيما إذا كان الداعي يتوجه إلى ربه متوسلًا إليه بغيره، مثل أن يقول: أسألك بجاه فلان عندك، أو بحرمته، أو بحقه، وأما إذا توجه إلى ذلك الغير، وطلب منه فهو شرك كما تحقق انتهى.

وهذا عين التحقيق، وبالله تعالى التوفيق.

وقد أكثر هذا العراقي من ذكر عباراتِ الفقهاء في باب الإستسقاء من قولهم: (ويباح التوسل بالصالحين) وأكثر من تكرير عباراتهم في ذلك للتهويل، وطَوَّل بذلك أشد التطويل، وظن أن في ذلك دليلًا على ما يدعو إليه من الشرك بالله، وحاشا علماء الدين، وأهل الحق واليقين، أن يجوزوا الشرك بالله أو أن يحوموا حولَ حماه، وإنما معنى ذلك التوسل بدعائهم وابتهالِهم لا غير، كما تقدم ذلك والله أعلم.

فصل

وذكر العراقي ما روي عن ابن عمر وابن عباس رضي الله عنهما: «أن كلا منهما خدرت رجله، فقيل لكل واحد منهما: اذكر أحب الناس إليك. فقال: يامحمد».

والجواب أن يقال: سبحان الله، هذا غاية ما عند هذا وأمثاله، ونهاية محصول إشكاله.

كيف يروم معارضة القواطع القرآنية، والأحاديث النبوية، الدالة على وجوب إخلاص العبادة بجميع أنواعها لله وحده، ويحاول صرف الدعاء الذي هو مخ العبادة إلى غير الله تعالى بهذا ونحوه. **ولنذكر الجواب عن ذلك:**

قال الشهاب الخفاجي رحمه الله تعالى في «شرح الشفاءِ» وأثر[1] ابن عمر رضي الله عنهما رواه ابن السني في عمل اليوم والليلة. «**خدرت رجله**» أي أصابها خدر، وهو أمر يعتري الرجل لما يصيب العَصَبَ، فيمنع من تحريكها بسهولة، ويزول سريعاً، لأنه لو امتد كان فالجاً، أو مقدماته. فقيل له «**أذكر أحب الناس إليك**»

---

(١) في المطبوعتين: (وروى).

لأن الناس جربوا في الخدر أنَّ من أصابه إذا ذكر محبوبَه زالَ بسهولة، لأنه بمسَرَّتِه تَنْتَعِشُ الحرارة الغريزية فيندفع الخدر «**فصاح يامحمداه**» يعنيه ﷺ، لأنه أحبُّ الناسِ إليه، وإلى كل مؤمن «**فانتشرت رجله**» أي امتدت لزوال خدرها، وهذا يقتضي صحة ما جَرَّبوه، وقد يقال: إنه وقع مثله لابن عباس رضي الله عنه، وفيه يقول أبو العتاهية:

وتخدر في بعض الأَحَايِيْنِ رِجْلُه فإن لم يقل ياعَتْبُ لم يذهبِ الخدرُ

انتهى.

فهذا جواب ما ذكره ذو اللب المعكوس، والقلب المنكوس. وهل يحتج بمثل هذا الأثر المذكور بصيغة التمريض على جواز الشرك بالله إلا ذو قلب مريض؟.

فصل

قال العراقي: (وها هنا شيء يفيدك إن كنت تزعم أن التوسل ونداء الأنبياء والصالحين وطلب الشفاعة منهم حرام، فقد ذكر الفقهاء من كل مذهب في باب الشهادة: المحرماتِ الكبائرَ والصغائر، واستوعبوها، فانظر هل ترى هذا من المحرَّم؟ ثم قال: نعم، ذكروا أن السجود لغير الله من المحرمات، فإذا كان السجود لغير الله من المحرمات، وهو من أخص العبادات الخاصة بالله لم يحكم على فاعله إلا بالذنب دون الكفر المخرج عن الملة، كيف يكون التوسل كفراً) انتهى.

أقول : تأمل كلام هذا الضال المخذول، وانظر إلى خروجه عن المسموع والمعقول، يقول: إن السجود لغير الله محرم. فظاهر كلامه أن السجود لغير الله محرم، وليس بشرك عنده، وأيضاً: أن السجود لغير الله ذنب، وليس بشرك. فانظر حيرة هذا الجاهل وعمايته، وبلوغه في الضلال غايته ونهايته، وقد قال الله تعالى: **﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّىَ ٱلْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْىَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُواْ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَـٰناً وَأَن تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾** [الأعراف-٣٣]، فهل صرح القرآن بأن الشرك من

المحرمات أم لا؟! فالشرك أعظم ذنب عصى الله به، وأشد المحرمات تحريماً، وأعظمها عند الله تأثيماً، وفي الصحيحين عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال قلت يارسول الله: «أي الذنب أعظم عند الله؟ قال «أن تجعل لله نداً وهو خلقك» قلت: ثم أي؟ قال: «أن تقتل ولدك خشية أن يطعم معك» قلت: ثم أي؟ قال: «أن تزاني حليلة جارك» فأنزل الله تصديق ذلك ﴿**وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَـٰهاً ءَاخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ**﴾ [الفرقان-٦٨] الآيات. فانظر هل سمى الشرك ذنباً؟! والشرك أظلم الظلم، كما في الصحيحين عن ابن مسعود رضي الله عنه أيضاً قال: لما نزل قوله تعالى: ﴿**ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَـٰنَهُم بِظُلْمٍ**﴾ [الأنعام-٨٢] شق ذلك على أصحاب رسول الله ﷺ، وقالوا أينالم يظلم نفسه؟ فقال رسول الله ﷺ: إنما هو الشرك، ألم تسمعوا إلى قول العبد الصالح ﴿**إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ**﴾ [لقمان--١٣].

فليت شعري ما الذي يخرج عند هذا من الملة إذا كان الشرك بالله لايخرج عنده من الملة، وإنما هو ذنب!؟

قوله: (**فلو كان ذلك كفراً للزم ذكره في باب الردة... إلى آخر كلامه**).

يقال قد ذكر ذلك الجهابذة العلماءُ، وصرح به النبلاء والفهماء إتباعاً لكتاب الله وسنة رسوله، كما تقدم من كلامهم القليل، لكن ثم ماذا إذا أعمى الله بصيرتك (ومن يرد الله فتنته فلن تملك له من الله شيئا).

وقال البخاري رحمه الله في صحيحه: باب المعاصي من أمر الجاهلية، ولا يكفر صاحبها بارتكابها إلا بالشرك، لقول النبي ﷺ «إنك امرؤ فيك جاهلية» وقول الله تعالى ﴿**إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ**﴾ [النساء-٤٨].

وانظر إلى باب الردة من كل مذهب، فأول ما يذكره الفقهاء أن يقولوا: من أشرك بالله تعالى كفر لقوله تعالى: ﴿**إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ**﴾ [النساء-٤٩].

ومرادهم هذا الذي تسميه أنت وأضرابك: توسلًا وتشفعاً واستمداداً، وهل ينفعك تسميته بغير اسمه، وتغيير حقيقته ورسمه، فالشرك بالله تعالى الذي قامت عليه الآيات القرآنية والأحاديث النبوية وكلام العلماء شرك بالله شاء المشرك أم أبى. وهل ينفع شارب الخمر تسميته بغير اسمه، أو المرابي تسميته الربا بغير اسمه، والنظر إلى المسمى لا إلى الإسم، وبالله التوفيق.

فصل

ثم كذب العراقي وافترى فقال: (**وقد كَفَّر هؤلاء الناس الصحابة بقولهم للنبي ﷺ: اجعل لنا ذات أنواط، ثم ذكر أنهم خوارج، وذكر بعض الأحاديثِ التي وردت في الخوارج**).

والجواب أن هذه الدعوى كاذبة، فتقابل بالرد والمنع، وعدم القبول، ومن المعلوم أن المشار إليهم من أشد الناس تعظيماً ومحبة للصحابة، وأعظمهم اتباعاً لهم، واقتفاءً لآثارهم، ولكن لما تصدوا لبيان شركه، وانتصبوا لهتك باطله وإفكه، وأولجوه المضايق، وبينوا الحجج الواضحة وحققوا الحقائق، فصار قصاراه بهتهم ورميهم بما هم براء منه، وما أشبهه بمن قيل فيه:

وَيَشْتُمُ أَعْلامَ الأَئِمَّةِ ضِلَّةً ولا سِيَّما إن أَوْلَجُوْه المَضَايِقا

والفرق بينهم وبين الخوارج: أن الخوارج يكفرّون بكبائر الذنوب، كالزنا والسرقة وشرب المسكر ونحو ذلك، كما ذكره أرباب المقالات.

وهؤلاء إنما يكفرون بالشرك بالله، كما تقدم بعض بيان ذلك بالأدلة الظاهرة، والحجج المتناصرة، من الكتاب والسنة وكلام علماء الأمة.

وأما الذنوب كالزنا والسرقة وشرب الخمر ونحوها فحاشاهم من التكفير بذلك كما تقدم، فسبحان من طبع على قلوب من شاء من خلقه بعدله.

والخوارج كفروا الصحابة رضي الله عنهم بما جرى بينهم من القتال، كما جرى في وقعة الجمل بالبصرة بين علي وطلحة والزبير وعائشة، وكما جرى بين علي ومعاوية في صفين، وتلك الذنوب لا يكَفَّر فاعلها، والصحابة رضي الله عنهم لهم حسنات عظيمة ماحية: إيمان، وهجرة، وأعمال، وجهاد. فالخوارج إنما كفروا أهل الإيمان بالذنوب.

وهذا وأمثاله عادَوا أهل التوحيد لما أنكروا عليهم الشرك بالله، ودعوهم إلى إخلاص العبادة لله وحده لا شريك له، كما كان الصحابة رضي الله عنهم مع نبيهم ﷺ وبعده، يأمرون بالتوحيد، وينهون عن الشرك.

فالأشبه بالخوارج على الحقيقة من يُكَفِّر أهلَ التوحيد، وينصر الشرك بالله والتنديد، بل هو أشد من الخوارج لأن الخوارج كفروا بالذنب، وهؤلاء كَفَّروا بمحض الإيمان، كما قال العلامة ابن القيم:

مَنْ لي بِشِبْهِ خوارجٍ قد كَفَّروا ... بالذنبِ تأويلًا بلا إحسان
ولهم نصوصٌ قَصَّروا في فهمها ... فأُتوا من التَّقْصيرِ في العرفان
وخصومنا قد كَفَّرُونا بالذي ... هو غايةُ التوحيـدِ والإيمان

فالذي نعتقد وندين الله به وندعو إليه هو: إخلاص العبادة بجميع أنواعها لله تعالى، وننكر أن يصرف منها شيء لغير

الله، متمسكين في ذلك بكتاب الله وسنة رسوله، وهذا هو سبيل رسول الله ﷺ والصحابة والتابعين، فمن سبَّنا وأنكر علينا فقد سب من كان على مثل ما كان عليه الصحابة والتابعون من التوحيد ونفي الشرك، وذلك مَسَبَّةٌ للصحابة والتابعين، فالسَّابُ في الحقيقة إنما سب الصحابة وأنكر عليهم، لأن الذي أنكره هو دينهم، وبالله التوفيق.

فهذا آخر ما قصدناه من الكلام على شبهاته، والتنبيه على بعض خُزَعْبلاتِه، وقد سقطت به ــ والحمد لله ــ أباطيلُه، واجتُثَّت به وساوسه وأضاليلُه.

وهذه الشبه الفاسدة لاتخدش في وجوه براهين التوحيد القاطعة، وأدلة الكتاب والسنة القاطعة، ولو تتبعنا جميع هذيانه، وسوء فهمه لكلام العلماء، وتصرفه فيه بالتأويل والحذف لطال الخطاب، وكثر الجواب، ولكن قد حصل المقصود وهو بيان التوحيد الذي بعث الله به رسله، وأنزل به كتبه، والجواب عن شبهات المبطلين.

والحمد لله على بيان الحجة، ووضوح المحجة، و(الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله) والله المسئول أن يهدينا وإخواننا صراطه المستقيم، صراط الذين أنعم عليهم، غير المغضوب عليهم ولا الضآلين.

وكان الفراغ من رقمه عشية السبت المبارك، السادسَ عشَرَ من شهر ربيع الأول من سنة ١٢٩٤ بمكة المكرمة على يد مؤلفه العبد

الفقير إلى رحمة ربه ومغفرته أحمد بن إبراهيم بن عيسى، عامله الله بلطفه الخفي. وآجره على عوائد بره الحفي، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم[1].

---

(١) في آخر طبعة الشيخ نصيف: (ونقله من خط مؤلفه المذكور، الفقير إلى رحمة ربه الغفور: عبدالعزيز بن عبدالله بن محمد بن عامر. فرغت من زَبْده سنة ١٢٩٧ هـ وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً.
قال مصححه: فرغت من التعليق عليه يوم عاشوراء من شهر الله الحرام سنة تسع وأربعمائة وألف. والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات وتدوم وصلى الله على رسوله محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

عبدالسلام بن برجس آل عبدالكريم

بسم الله الرحمن الرحيم

فهارس الموضوعات

الموضـــوع	الصفحة

الموضـــوع	الصفحة

الموضـــوع	الصفحة

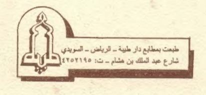
الموضـــوع	الصفحة

(١) قلت مراده بالخلاف بين المتأخرين، أما المتقدمون فقد اتفقوا على منعه إلا ما ذكر عن العزِّ بن عبدالسلام في حق نبينا فقط، هذا معنى ما ذكره شيخ الإسلام.

بيان بأسماء ما صدر عن هذه السلسلة

١ ـ دحض شبهات على التوحيد	للشيخ عبد الله أبا بطين	الطبعة الثالثة تحت الطبع
٢ ـ الفواكه العذاب	للشيخ حمد بن معمر	الطبعة الثانية.
٣ ـ الردّ على القبوريين	للشيخ حمد بن معمر	الطبعة الأولى.
٤ ـ الضياء الشارق	للشيخ سليمان بن سحمان	تحت الطبع.
٥ ـ سؤال وجواب في أهم المهمات	للشيخ عبدالرحمن بن سعدي	الطبعة الثالثة.
٦ ـ تحفة الطالب والجليس	للشيخ عبد اللطيف	الطبعة الثانية تحت الطبع.
٧ ـ الصواعق المرسلة الشهابية	للشيخ سليمان بن سحمان	الطبعة الأولى.
٨ ـ الرد على شبهات المستعينين بغير الله	للشيخ أحمد بن عيسى	الطبعة الأولى.
٩ ـ كشف الشبهتين	للشيخ سليمان بن سحمان	الطبعة الأولى.
١٠ـ إقامة الحجة والدليل	للشيخ سليمان بن سحمان	الطبعة الثانية (المصححة).

وتحت التحقيق رسائل غيرها



طبعت بمطابع دار طيبة ـ الرياض ـ السويدي
شارع عبد الملك بن هشام ـ ت: ٤٢٥٢١٩٥